محمد محمود

وزيناها للناظرين

وزيناها للناظرين
محمد محمود
1856/ 2016 ط1
الترقيم الدولى /5– 038 – 784 – 977 – 978
غلاف / خديجة يونس
حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر
ليليت للنشر والتوزيع
الإشراف العام / إيمان سعيد
المراسلات : 60 ش سكينة بنت الحسين
كفر عبده – الإسكندرية
ت : 01224272327
: 01022661632
Dar.lilitte@gmail.com
lilettepublishing@gmail.com

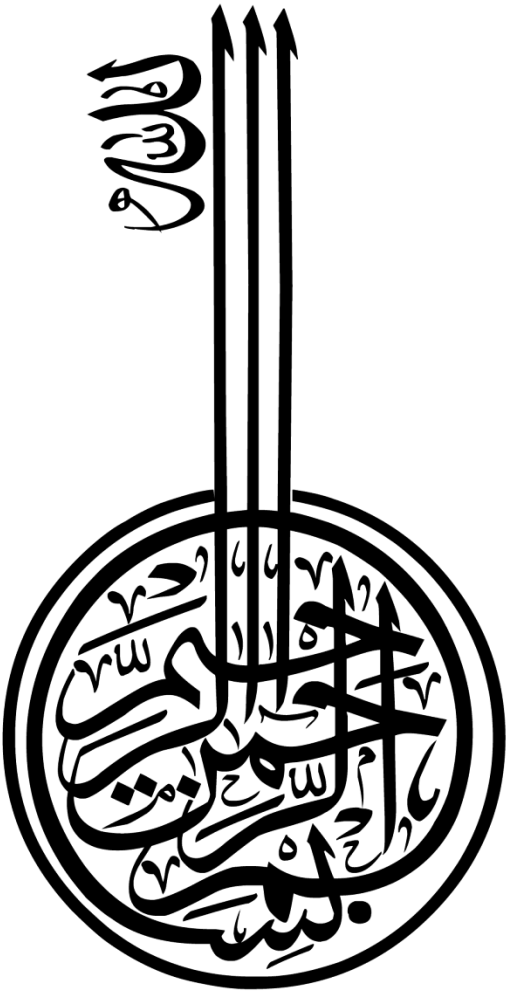
بسم الله الرحمن الرحيم

من فضلك ..

لا تقرأ هذا الكتاب!

إذا كنت ممن يدمن النقل ولا يؤمن بالعقل .. وممن ينتصر للحفظ على الفهم وللنصوص على المقاصد .. وللمبنى على المعنى .. فلا تتعب نفسك وتقرأ هذا الكتاب ..

إذا كنت ممن يقولون إنَّا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنَّا على آثارهم مهتدون .. فسارع بالتخلص من هذا الكتاب ..

إذا كنت ممن لا يتفكَّر ولا يتدبَّر ولا يتأمَّل ولا يبحث ولا يناقش ولا يجادل ولا يناظر ولا يجرِّب ولا يحاول ولا يرفض ولا ينقد ولا يقرأ ما بين السطور .. فلا تهدر نقودك باقتناء هذا الكتاب ..

إذا كنت ممن لا يكلِّف نفسه النظر فيما وراء الأمور .. فيمكنك أن تهدى هذا الكتاب لأحد أصدقائك ..

إذا كنت من أوائل الثانوية العامة المصرية .. أو إذا كنت ترغب أن تكون كذلك فى يومٍ من الأيام .. فيمكنك أن تزيِّن مكتبتك بهذا الكتاب .. لكن فضلًا .. لا تقرءه ..

إذا كنت من واسعى الأذن ضيقى الأفق محدودى الخيال.. إذا كنت من عاشقى الاتباع مبغضى الإبداع .. فيمكنك أن تضع هذا الكتاب تحت رجل الكرسى المكسورة فى الصالون..

إذا كنت لا تعرف فرقًا بين المخ والعقل غير أن المخ "بيتعمل بانيه" .. فخذ بنصيحتى ولا تقرب هذا الكتاب ..

إذا كنت لا زلت تظن أن البقرة تشرب لبن .. فمن فضلك .. لا تقرأ هذا الكتاب !!

الهجرة لم تكن في محرم!

السواد الأعظم من الناس يعتقدون أن النبى ﷺ هاجر من مكة إلى المدينة فى غرة محرم للعام الأول الهجرى .. وهذا غير صحيح ..

لم تكن الهجرة فى شهر محرم بالأصل وإنما خرج ﷺ من مكة فى شهر صفر وتحديدًا يوم السابع والعشرين ووصل قباء على مشارف المدينة فى الثامن من شهر ربيع الأول ..

ونحن إذ نحتفل بالأول من محرم كل عام فنحن لا نحتفل بهجرة الرسول الكريم ﷺ وإنما نحتفل بقدوم عام جديد بالتأريخ الهجرى ..

ولمزيد من التوضيح نقول إن النبى ﷺ ولد فى عام الفيل وإن أبا بكرٍ ولد بعد عام الفيل بعامين .. فالتأريخ آنذاك كان نسبةً لحدثٍ جللٍ قريب وكانت حادثة الفيل حدثًا جللًا كافيًا للتأريخ عليه حتى يأتى حدثٌ جللٌ آخر يتسلم التأريخ منه .. مثل البعثة .. فنقول إن الدعوة الجهرية بدأت فى السنة الثالثة

للبعثة وإن عمر وحمزة أسلما فى العام السادس للبعثة .. ويستمر التأريخ بالبعثة حتى يأتى حدثٌ جللٌ آخر .. مثل الهجرة التى أقر عمر بن الخطاب التأريخ بها فى خلافته واستمرت حتى الآن ..

وربما يتساءل أحدٌ الآن .. لما كانت الهجرة فى صفر فلماذا يعد محرم أول شهور السنة الهجرية ؟

ونقول إن المسلمين لم يخترعوا تقويمًا جديدًا .. كل ما فعلوه أنهم أطلقوا اسمًا على العام .. أما الشهور فكانت معروفة من قبل .. فهى شهورٌ عربية وليست إسلامية .. ويكفى أن نقول إن رسول الله ﷺ ولد فى شهر ربيع الأول لعام الفيل .. وهذا يعنى أن الشهور كانت معروفة من قبل .. لكن المسلمين كانوا بحاجة إلى تعريف السنوات بحدثٍ عظيم .. وهو ما فعله عمر بن الخطاب بإقراره لهجرة النبى ﷺ تأريخًا للأحداث السابقة واللاحقة .

خلقه الله واستعظموه!

سؤال ينتشر فى كثيرٍ من المسابقات الدينية .. شىء خلقه الله واستعظمه؟ وشىء خلقه الله واستنكره؟

الأول هو كيد النساء من قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [1]، أما الثانى فهو صوت الحمار لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [2] وفى هذا مغالطة كبيرة !

أولًا هذا ليس من كلام الله ولا يعتد به .. فالأول كلام عزيز مصر لما علم بكيد زوجته ليوسف .. وهو كيدٌ عظيمٌ فى رأيه هو، وعظيمٌ نسبةً إليه هو، ليس عظيمًا نسبةً إلى الله .. فلا شىء عظيمٌ البتة نسبةً إلى جناب الله تعالى .. فكيف بالذى وصف كيد الشيطان ذاته بأنه ضعيفٌ أن يعود ليصف كيد المرأة بأنه عظيم !

أما الثانى فهو من قول لقمان الحكيم .. الذى قد يصيب وقد يخطئ .. وقوله يمثله هو ولا يمثل الله تعالى، فما كان

---

[1] - يوسف 28 .
[2] - لقمان 19 .

مستنكرًا فى رأيه قد لا يكون مستنكرًا فى رأى غيره .. وقد يكون عندنا من المبررات ما يجعل أصوات أخرى أكثر قبحًا واستنكارًا من صوت الحمار ..

الأمر كله لا يعدو عن أن الله يقص علينا قصصهم وينقل عنهم أقوالهم .. وهذا لا يعنى أنها أمورٌ حتمية .. وإلا لكانت أقوال الشيطان التى نقلها عنه القرآن حرفيًا أقوالًا معتبرة مادامت وردت فى كتاب الله !

الحوت لا يزال حيًّا!

معلومة خطيرة طالعتنى كثيرًا ..

هل تعلم أن حوت يونس لا يزال حيًّا يرزق إلى الآن .. وهذا ما يؤكده النص القرآنى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [1] !

أولًا هذا القول لا ينم إلا عن جهلٍ بقواعد اللغة العربية .. ف "لولا" تفيد امتناع جوابها لوجود تاليها .. وهذا يعنى أن كون بقاء يونس فى بطن الحوت ممتنعٌ لوجود التسبيح ..

هذه واحدة .. أما الأخرى فتفسير قوله "إلى يوم يبعثون" بأن الحوت سيبقى حيًّا إلى يوم البعث فهذا أيضًا يدل على جهلٍ ببلاغة اللغة العربية .. فهذا أسلوبٌ مجازى .. تمامًا كأن تقول أحدٍ سأحبك إلى الأبد .. أو سأقاطعك إلى يوم القيامة، وكل هذا يندرج تحت باب الأساليب المجازية ..

---

[1] - الصافات 143 - 144 .

أمـا إذا افترضـنا جـدلًا أن هـذا الأسـلوب حقيقـى ولـيس مجازيًـا .. فيمكننـا القـول إن الحـوت إذا الـتقم يـونس وتغـذَّى عليـه لصـار جزءًا منـه تكوينه، ودخـل جسـد يـونس فى جسـد الحـوت لا ينفصـل عنـه إلى يـوم البعـث حـين يـرد الله ليـونس جسده ليحاسبه على أعماله ..

ليلة القدر

كل عامٍ يقع الخلاف ذاته .. متى ليلة القدر؟ هل هى ليلة خمسٍ وعشرين، أم سبعٍ وعشرين أم قبل ذلك أم بعده ..

خلافات كثيرة لا تنتهى حول تحديد هذه الليلة .. فبعضهم يجزم أنها ليلة الخامس والعشرين وغيره يؤكد أنها ليلة السابع والعشرين بينما يقسم آخرون أنها ليلة التاسع والعشرين، وكلٌّ يمتلك حججه .. وأغلب أقوال أهل العلم على أنها ليلة السابع والعشرين ..

وإجمالًا نقول إن الله إذا أراد أن يظهرها لأظهرها، وكذلك رسول الله ﷺ، فلا أحدٌ أعلم بها منه ..

العجيب فى أمر هذه الليلة أن البعض يدَّعى أنها غير ثابتة، فتجدها ليلة السابع والعشرين عامًا وليلة الخامس والعشرين عامًا آخر وليلة الثالث والعشرين فى عامٍ ثالث .. وهكذا .. كل عامٍ هى فى حالٍ .. وكأنها تتنقل بين الليالى عامًا بعد عام !!

وهذا أمرٌ غير مقبول .. فليلة القدر هى الليلة التى نزل فيها القرآن .. أى إنها يوم مولد القرآن .. فهل يمكن ليوم مولدك أنت أن يكون يوم الخامس والعاشرين هذا العام ويوم السابع والعشرين فى العام المقبل !!

إنها يومٌ ثابتٌ محددٌ لا يتغير من عامٍ لعام ..

الأهم من ذلك أن البلدان العربية والإسلامية قد تختلف فى تحديد الهلال مما يجعل الليالى غير متوافقة بين بلدٍ وآخر .. ولهذا نرجع للقاعدة السابقة ونطبقها على موضع نزول القرآن وهو مكة المكرمة فيكون اعتبار ليلة القدر على هلال السعودية .. كما يحدث فى وقفة عرفات ..

خيرٌ من ألف شهر!

وقف بعض المسلمين أمام قوله عن ليلة القدر إنها ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [1] وظلوا يحسبون قيمة الألف شهر حتى توصلوا إلى أنها تساوى ما يربو عن الثلاث وثمانين سنة !

وبدءوا يتأملون فى النتيجة التى وصلوا إليها ثم استغرقهم مبحثٌ آخر .. هل أجر السنوات الثلاث والثمانين تلك تشمل أجر ثلاثٍ وثمانين ليلة قدر تتخلل هذه السنوات أم لا !!

وهؤلاء اعتبروا اللفظ وأغفلوا اعتبارات أخرى تنهى هذا الجدل وتجعل هذه المعادلات وتلك النتائج فارغة وغير ذات معنى ..

أهم هذه الاعتبارات هو كون هذا الرقم مجازيًا وغير حقيقى .. يهدف إلى المبالغة وبيان الكثرة والوفرة ..

كأن تتعدد محاولاتك فى شىءٍ ما ولا تنجح فتقول حاولت ألف مرة ولم أنجح .. بينما محاولاتك فى الحقيقة لا تقترب بأى حالٍ من الأحوال من هذا الرقم، إنما هو مجرد عدد مجازى غير حقيقى يشير إلى الكثرة ليس أكثر ..

---

[1] - القدر 3 .

ومن ذلك قوله: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [1]، وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[2]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [3]..

ومعروفٌ أن الرقم ألف هو منتهى العدد عند العرب .. حتى إنهم إذا احتاجوا أكثر من ذلك قالوا ثلاثون ألفًا أو خمسون ألفًا -كما فى الآية الأخيرة- وأقصى ما يقولونه من رقمٍ هو ألف ألف ..

---

[1] - الحج 47 .
[2] - السجدة 5 .
[3] - المعارج 4 .

التراويح!

طوال شهر رمضان من كل عامٍ أتعرض للسؤال نفسه بصفة يومية .. لماذا تصلى العشاء فى المسجد وترحل ولا تصلى التراويح معنا ؟ ألا تصليها ؟

فأجيب فى براءة: بلى أصليها ولكن فى البيت ..

ولا أتلقى سوى نفس نظرات الاشمئناط المعتادة المتبوعة بالسؤال الثانى .. ولماذا لا تصليها فى المسجد ؟

أقول إن رسول الله ﷺ لم يصلِّ التراويح فى المسجد إلا ثلاث ليالٍ .. وفى الليلة الرابعة خرج فوجد كثيرًا من المسلمين فى انتظاره لأداء صلاة التراويح[1] .. واسمها فى الأصل القيام[2] أو التهجد[3] .. وهى من النوافل، فلما رأى النبى ﷺ كثرتهم خشى أن تفرض عليهم وامتنع عن أدائها فى جماعة ..

---

[1] - سميت بالتراويح لأن المصلون يستريحون بين كل عددٍ من الركعات .

[2] - سميت بالقيام لأن المصلون يقومون عن نومهم لأدائها .. ومعروفٌ أن العرب كانوا ينامون بعد صلاة العشاء .

[3] - سميت بذلك لأن المصلون يتركون الهجود أى النوم لأدائها .

وعلى ذلك فرسول الله ﷺ ترك أداءها فى جماعة وأدَّاها منفردًا والأولى أن نترك ما تركه رسول الله ﷺ وأن نؤديها كما أدَّاها ..

أما عن جماعة التروايح فلم تكن إلا فى عصر عمر .. الذى رأى تعدد الجماعات الصغيرة فقرر جمعهم على إمامٍ واحدٍ .. غير أن عمر نفسه لم يصلِّ معهم على أرجح الأقوال!

ثم إننا نصلى كل النوافل منفردين ولا حرج، فلماذا نعيب على من يصلى التراويح منفردًا !

وهذا لا يعنى ذم إقامة التراويح فى جماعة، لكن كما أسلفنا فالأولى أن نترك ما ترك رسول الله ﷺ وأن نأتى ما أتى ..

والأولى أيضًا أن نهتم بأداء الفروض فى جماعات قبل النوافل !!

الغراب الأبيض!

قبل طوفان نوح عليه السلام كان ريش الغراب أبيض، واسودَّ بسبب دعاء سيدنا نوحٍ عليه !

وتفصيل هذا أن نوحًا عليه السلام لما طال مكثه فى السفينة رأى أن يخرج من يتحسس الأمر خارج السفينة ليقرر الخروج أو البقاء والانتظار حتى تستقر الأوضاع وتعود الأرض صالحة للحياة مرة أخرى ..

واستقر رأى نوحٍ على الغراب فأخرجه من نافذةٍ صغيرة فى السفينة .. وليته ما فعل !

الغربان تعيش على الجيف[1] وتقتات[2] عليها، ولا يخفى على أحدٍ أنه عقب الطوفان كانت الأرض عبارة عن وليمة كبيرة للغراب الذى خرج ولم يعد؛ فكل من كان على الأرض أغرقه الطوفان وصار طعمة للغراب الجائع !

---

[1] - الجثث .
[2] - تتغذَّى .

فدعا نوحٌ عليه السلام على الغراب فاسوَّد ريشه حتى صار اسمه الغراب النوحيِّ نسبة لدعاء سيدنا نوحٍ عليه، وصار رمزًا للخراب والفراق حتى صار اسمه –أيضًا– غراب البين؛ أى الفراق .. وصار –كذلك– مكروهًا بين الناس ويبعث انقباضًا فى القلوب !

حمامة السلام

ولما لم يحصل سيدنا نوح على الخبر الذى لأجله أخرج الغراب قرر إرسال رسولٍ آخر يتحسس له الأخبار فكانت الحمامة ..

طافت الحمامة فى الأرض تتحسس أخبارها، حتى تيقنت أنها صارت صالحة للحياة عليها وأنها قد تعافت تمامًا من آثار الطوفان .. وقد صار الآن بمقدور الجميع أن يهبطوا من السفينة فى سلام ..

ولكن تبقى مشكلة .. كيف تستطيع الحمامة إخبار نوحٍ عليه السلام بهذا الخبر ..

أسرعت الحمامة الذكية إلى بعض النباتات التى نبتت على الأرض بعد زوال أثر الطوفان وانتزعت منها غصنًا أخضر نضرًا ليعلم سيدنا نوح من خلاله أن الأرض قد عادت لها الحياة وصارت مستعدة لاستقباله هو المؤمنين وكل من على ظهر السفينة من طيرٍ أو حيوان من جديد ..

أقبلت الحمامة معلنة عن عودة الحياة مرة أخرى وفى منقارها غصنٌ نضرٌ .. كان هذا الغصن غصن زيتونٍ ..

لم تكن هذه الحمامة تعلم أنها وغصنها سيتلازمان إلى الأبد فى رمزٍ عالمى للسلام والمحبة والخير والحياة ..

موسى vs الخضر

كلنا نحفظ قصة الخضر مع موسى عن ظهر قلب، تلك القصة التى تشير إلى علم الله اللامحدود، وأنه يختص بعلمه من يشاء، وأنه فوق كل ذى علمٍ عليم، وأن الغيب فيه من الخير ما قد لا تراه العين المجردة .. وغير ذلك من المعانى العظيمة ..

غير أن ثمة لطيفة أخرى فى القصة .. وهى لماذا اختار الله لنبيه موسى تلك القصص الثلاث بعينها ؟ لابد أن حكمةً ما وراء اختيار هذه القصص الثلاث ..

بالفعل ثمة حكمة عظيمة بالغة القيمة تكمن وراء اختيار الله تعالى تلك الأحداث الثلاثة لنبيه ..

عاب موسى على الخضر أنه قتل غلامًا ونسى موسى أنه قتل المصرى !

وكذلك عاب موسى على الخضر بناءه للجدار الذى كاد أن ينقضَّ دون أن يطلب أجرًا، ونسى أنه نفسه ساعد الفتاتين عند البئر ولم يسألهما أجرًا !

وأخيرًا عاب عليه أنه أحدث شقًّا فى السفينة، ونسى موسى أنه شق البحر كله !

درسٌ عظيمٌ فى هذه القصة لنا جميعًا .. علينا أن ننظر لأنفسنا أولًا ونحاسبها قبل أن نحاسب الآخرين، فلعلنا نعيب عليهم ما نفعله نحن ..

أول من آمن من الرجال

هو السؤال الأسهل على الإطلاق .. وإجابته لا تعجز طفلًا صغيرًا .. أبو بكرٍ الصديق !

لكنها إجابة فيها نظر !

ولنتذكر سويًّا الأحداث التالية لنزول الإسلام على رسول الله ﷺ وعودته إلى بيته خائفًا مرتجفًا ..

"فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة أخى أبيها وكان امرأً تنصَّر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربى ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخًا كبيرًا قد عمى، فقالت له خديجة أى عم اسمع من ابن أخيك، قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخى، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى أنزل على موسى، يا ليتنى فيها جذعًا يا ليتنى أكون حيًّا حين يخرجك قومك، قال رسول الله ﷺ: " أومخرجى هم؟"، قال ورقة: نعم، لم يأت

رجلٌ قط بما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا"[1] .

وكلمات ورقة بن نوفل تؤكد بالفعل تصديقه بنبوة محمدﷺ واعترافه أن ما جاء به هو ما جاء به موسى، بل وتعهده بنصرته إذا عاداه قومه ..

ثم أدركت ورقة منيته قبل ظهور الإسلام، وقال بعدها رسول الله ﷺ: " رأيت القس[2] فى الجنة، عليه ثيابٌ خضر"[3] .

كل هذا لا يؤكد غير حقيقة واحدة .. ورقة بن نوفل أول من آمن من الرجال !!

---

[1] - صحيح مسلم .
[2] - يقصد ورقة؛ لأنه كان قد تنصَّر فى الجاهلية .
[3] - مسند أبى شيبة .

وزيناها للناظرين !

ذكر ابن عباس فى كتابه طرائف النساء:

أن الإمام عبد الله بن المبارك خرج ذات مرة للحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه ﷺ يقول عبد الله بن المبارك: وبينما أنا أسير في بعض الطريق إذا بى أرى سوادًا فتميزته فإذا بها امرأة عجوز عليها درعٌ من صوفٍ أسود، وخمارٌ من صوفٍ فاقتربت منها فلما اقتربت منها قلت لها:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقالت: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[1] .

فقلت: يرحمك الله يا أمة الله ماذا تصنعين فى هذا المكان؟

فقالت: ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾[2].

قال فعلمت من كلامها أنها ضلت الطريق .

فقلت لها: فإلى أين تريدين ؟ إلى أين الذهاب ؟

---

[1] - يس 56 .

[2] - الكهف 17 .

فقالـــت: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾ [1].

قال فعلمت من كلامها أنها قد قضت الحج وتريد أن تزور بيت المقدس ..

فقلت لها : منذ كم وأنتِ فى هذا المكان؟

فقالت: ﴿ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴾ [2]..

والقصة طويلة ولها بقية أطول .. وفى نهايتها يلتقى ابن المبارك بأبناء هذه العجوز فلما سألهم عنها قالوا: إن أمنا هذه منذ أربعين سنة وهى لا تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن يزل لسانها فيسخط عليها الرحمن !

وهذه القصة إن صحَّت فهى سوء استخدام للقرآن .. هذا تنطُّع وتشدد لا يحبه الله ولا يرضاه .. فكلام الله إنما نزل بالأصل للتعبد وليس للكلام ..

---

[1] - الإسراء 1 .
[2] - مريم 10

ثم إنه إذا كان الحديث بالقرآن مندوبًا لكان رسول الله ﷺ به أولى وعليه أحرص ..

يقول ابن قدامة: ولا يجوز أن نجعل القرآن بدلًا من الكلام؛ لأنه استعمالٌ له فى غير ما هو له، فأشبه استعمال المصحف فى التوسُّد ونحوه ..

القرآن هو كلام الله المتعبَّد بتلاوته، ويجوز الاستشهاد به فى مواضع، ولكن لا يجوز أن نتكلم به أو نروِّج به أبدًا ..

فعلى المنوال نفسه تجد على واجهات المحلات آيات القرآن ترويجًا للمنتج المقدَّم ..

فترى على واجهات المطاعم قوله تعالى: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [1] !

وعلى محلات العصائر تجدهم يكتبون :﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴾ [2] !

---

[1] - البقرة 57 .
[2] - الإنسان 21 .

وتجد على واجهة محل الخياط قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ [1] .. أو قوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ﴾ [2] !!

وبائع الطيور والدواجن: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [3] !!

حتى محلات المكيانيكا وإصلاح السيارات تكتب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [4] !!

وهذا كله يظهر وكأنه من باب التدين !

لكن الحقيقة أن هذا يخرج عما أراده الله لقرآنه، وهو استخدام للقرآن فى غير مواضعه ..

وعليه فليس مستغربًا ولا مستبعدًا أن نقرأ ذات يومٍ على واجهة الكوافير والبيوتى سنتر ومحلات التجميل وعيادات الشفط والنفخ والسيليكون: ﴿ وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [5] !!

---

[1] - الإسراء 12 .
[2] - يوسف 3 .
[3] - الواقعة 21 .
[4] - هود 88 .
[5] الحجر 16 .

طفلة !

رغم مرور ما يقارب القرن ونصف القرن إلا أنهم لا زالوا يتمسكون بنفس الكلام؛ فينكرون على رسول الله ﷺ زواجه من خديجة وهى المرأة الأربعينية حين كانت تكبره بخمس عشرة سنة، ثم زواجه من عائشة وهى بنت تسع سنين ودخوله عليها وهى بنت إحدى عشر عامًا .. فضلًا عن تعدد زيجاته بالأصل ..

بعض العلماء اجتهدوا فى رد تلك الشبهات مما دفع بعضهم لتضعيف روايات أعمار خديجة وعائشة، فمنهم من ادَّعى أن خديجة كانت حال تزوجها النبى ﷺ فى أوائل الثلاثينات، وعائشة كانت تقارب العشرين ..

غير أن هذه الردود غير مسكتة، بل وتفتح المئات من التساؤلات وتثير الشكوك فى السيرة بأكملها؛ لكثرة ما تحمل من تناقض فى الروايات واختلاف فى الأقوال وتضارب فى التواريخ؛ لذلك فهى تفسد أكثر مما تصلح ..

ونقول إن زواجه من خديجة ليس بالأمر المستغرب المستهجن لأن المرأة الأربعينية فى المجتمع المكى لم تكن عجوزًا، حيث كانت بعيدة كل البعد عما يفسد الصحة ويعجل بالشيب، كانت تحيا فى بيئة نظيفة وتتناول طعامًا صحيًّا مما يحفظ لها الشباب لعمرٍ مديد، ثم إنها كانت من أغنياء مكة؛ مما يعينها على الاعتناء بنفسها وشبابها، وإن كانت المقارنة لا تجوز ولكن انظر إلى الفنانات اللاتى تجاوزن الأربعين لتعلم أن هذه السن هى للشباب أقرب منها للمشيب ..

أما عن طفولة عائشة التى انتزعوها من بين الدمى والعرائس ليلقوا بها فى بيت رسول الله ﷺ .. فماذا يقول هؤلاء إن علموا أن عائشة كانت مخطوبة قبل خطبتها لرسول الله ﷺ لرجلٍ من قريش، لكنه تراجع عن خطبتها لإسلامها وأبويها..

وإجمالًا فلا يجوز إسقاط أحكام عصرٍ على عصرٍ آخر، ولا تصح قوانين زمنٍ فى زمنٍ آخر له ظروفه المختلفة، ولا تصلح معايير الأمس فى حسابات اليوم ..

وكذلك فى أمر الزواج .. كان العرب يتزوجون ما يشاءون دون أن يقيدهم عدد، ثم إن زواجاته كانت لحكمة .. فواحدة للاعتناء بأبنائه بعد وفاة خديجة، وواحدة لتأصيل علاقته بأبيها، وواحدة لإلغاء حكم التبنى، وواحدة لتأليف قومها، وهكذا ..

ثم إن تعدد الزوجات هو أمر غير مستغرب فى حق الأنبياء، فسيدنا سليمان تزوَّج مائة زوجة، وفى روايات ألف، فلماذا يكون الإنكار على محمد ﷺ !!

ثم إذا كان فى الأمر ما ينكر على رسول الله ﷺ لأنكره أهل زمانه ولاستغله كفار قريش فى ذم رسول الله ﷺ والقدح فيه وفى الدين الذى جاء به ..

السؤال الأول!

أولًا التعبير:

السؤال الأول (إجبارى): اكتب برقيةً لصديقٍ لك تهنئه فيها بنجاحه .

سؤالٌ معتادٌ فى كل امتحان لغة عربية .. من الثوابت التى لا تتغير مهما تغير الزمن ..

لا أظن أن أحدًا إلى اليوم لازال يرسل برقيات، هى من الأمور التى أكل عليها الدهر .. وحبس بشاى ونام ساعتين !

الأصل فى موضوع التعبير أن يكون تدريبًا للطالب على الإفصاح عما بداخله .. توضيحًا لأفكاره ومشاعره .. ويهدف بالأساس إلى مساعدته على التعبير عن ذلك فى مختلف المواقف التى قد يتعرض إليها فى حياته الطبيعية ..

قل لى بالله عليك .. ما دخل البرقية بالحياة اليومية، لا أحد اليوم يرسل أو يستقبل برقية .. وأية برقية تلك التى نرسلها فى زمن الإنترنت والرسائل القصيرة والـ sms وغيرها ..

لماذا لا يكون السؤال مثلًا: اكتب رسالة إليكترونية لصديقك .. فهذا يتناسب أكثر ومتغيرات الزمن ..

ونتساءل بعد ذلك عن جهل المتعلمين وأميتهم بمتطلبات الحياة، وليس هذا إلا نتاج طراز تعليمى تقليدى روتينى لا يتواءم أبدًا وظروف العصر ..

على من يضع المناهج التعليمية أن يتخلص من تلك الأفكار البالية التى ألفينا عليها آباءنا، وينظر إلى احتياجات المستهدفين بالمنهج الذى يضعه، وليعلم أنه يصنع عقولهم ويربى أفكارهم ويهذِّب مشاعرهم ويؤدب أخلاقهم .. فليضع من العلم ما يمكِّنه من تأدية تلك الرسالة .. وليبتعد كل البعد عن حشو الكتاب المدرسى بمعلومات لا قيمة لها والتى هى من فئة العلم الذى لا ينفع والجهل الذى لا يضر، يبتعد عن النصوص الموروثة السخيفة التى لا تسمن ولا تغنى من جهل ..

عليه أن يحدد أولًا الهدف الذى من أجله يضع هذا المنهج الذى يضعه .. وأن يراعى اعتبارات كثيرة جدًا .. أهمها الزمن،

والعمر العقلى للطالب، فعقلية طالب القرن الحادى والعشرين تختلف تمامًا عن عقلية طالب القرن التاسع عشر، وبالتالى فعلوم هذا لابد أن تختلف عن علوم ذاك وتتفق مع مستجدات عصره ..

ولابد –كذلك– من استغلال آليات العصر فى العملية التعليمية حتى لا تكون بمنأى عن واقع الحياة .. ليتنا نستبدل بالكتب الورقية كتبًا إليكترونية ترفع عن كاهل الدولة وولى الأمر عبئًا ماليًا كبيرًا، وترفع عن ظهر الطالب المسكين حملًا ثقيلًا ..

إن أهم شىءٍ فى وضع المناهج التعليمية هو مراعاة الحال واحتياجات المتعلمين ومتطلبات سوق العمل حتى يصبح حشو الكتب علمًا يُنتفع به !

إيه جبتا!

عندما تتأمل فى أسماء دول العالم تجد أن إنجلترا: England، وأن فرنسا: France، وأن إيطاليا: Italy، وهذا طبيعى .. أن يكون اسم الدولة هو نفسه فى كل اللغات، وتتعجب كل العجب حينما تجد أن مصر فى لغات العالم اسمها: Egypt وليست Messer مثلًا!

تقول بعض الروايات التاريخية إنه بعدما انتهى طوفان نوح انتهت الحياة على هذه البقعة من الأرض حتى سكنها قفطايم بن مصرايم أحد أحفاد سيدنا نوح، وسمَّاها باسم أبيه مصرايم، ومع الزمن صارت مصر .

وأطلق البعض عليها بلاد قفطايم -نسبةً له نفسه- وتخففت إلى قفط ثم قبط وهو الاسم الذى يطلق على أهلها حتى الآن، لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، إنما تحرفت قبط إلى جبت ثم فى الأخير إلى إيجبت، وهو الاسم الذى تحمله حتى الآن !

ثمة رواية أخرى بشأن Egypt ..

أثناء الاحتلال الفرنسى لمصر كانت السفن الفرنسية محملة بالهدايا للمصريين لتتألفهم وتأمن جانبهم، فلما غادرت السفن وعادت مرة أخرى اندفع المصريون نحو السفن لينالوا نصيبهم من الهدايا قائلين لربَّان السفينة: إيه جبت ؟ إيه جبت ؟

فلما عاد الرُّبَّان إلى فرنسا قصَّ ما جرى على ملك فرنسا سقط مغشيًّا عليه من فرط الضحك، فلما أفاق –وكان عنده آنذاك بعض علماء الجغرافيا يضعون الخرائط– أمرهم أن يسموا هذا البلاد–مصر– "إيه جبت" ومن هنا جاءت تسمية Egypt !

ربما تبدو الرواية الأولى أكثر منطقية .. لكن تبقى الرواية الثانية أكثر واقعية ومناسبةً للشخصية المصرية !

التاتش بتاعنا !

تتحدث لبنان والجزائر والمغرب وكثيرٌ من بلدان أفريقيا اللغة الفرنسية بطلاقة بسبب احتلال فرنسا لتلك الدول، وللسبب ذاته تتحدث البرازيل البرتغالية والأرجنتين الإسبانية، بينما تتكلم أغلب شعوب العالم الإنجليزية .

لكن دول العالم كلها فى كفة ومصر فى كفة أخرى منفردة، فقد توالت القوى الاستعمارية عليها منذ بدأ التاريخ الاستعمارى يخط حروفه الأولى ما بين هكسوس وفرس وروم وفرنجة ومغول وأتراك وفرنسيين وإنجليز .. لكن كل هؤلاء فشلوا فى تعليم المصرى لغتهم، حتى إن بعضهم أسلم واستسلم وترك جيوشه وتزوَّج مصرية وعاش فى مصر كالخواجة مينو قائد الحملة الفرنسية !

ذلك الجبروت المصرى الذى بلغ مداه حينما جاء الإمام الشافعى إلى مصر فغيَّر فقهه بعدما عاش فى مصر وعاشر المصريين !

وبالعودة لمسألة اللغة نجد أن أحدًا لم يستطع فرض وصايته على اللسان المصرى الذى استطاع بجبروته أن يفرض نفسه على لغاتهم جميعًا مقتحمًا قواميسهم والأمثلة هنا كثيرة !

وفى المقابل يأخذ المصرى من ثقافاتهم ما شاء لكنه يضع عليه "التاتش المصرى" ..

فالأطفال المصريون حينما شاهدوا الأطفال الفرنسيين يلعبون: Qui est le premier أى (مَن الأول؟) أعجبتهم ووضعوا عليها "التاتش بتاعهم" وحوَّلوها بقدرة قادر من كيه لا بريمير؟ إلى كيلو بامية !!

ولم يكتفوا بذلك بل أكملوا لها أغنية طويلة: كيلو بامية.. القطة العامية .. والأغنية تطول !!

أسطورة المصرى !

كان يحكى لى عن حكاياته خارج مصر، وكيف أن البنات والنساء فى كل بلاد العالم لا يقاومن جاذبيته .. وهو فى ذلك لا يكذب .. لأنه من المعروف أن المصرى تعشقه كل نساء العالم !

لا أعرف لماذا خطر ببالى وقتها ما قاله أحد أطباء الأطفال على التليفزيون حول كون الطفل المصرى هو أذكى طفل فى العالم !

لست أدرى فى الحقيقة من الذى أجرى تلك الإحصاءات التى تشير إلى أن الطفل المصرى هو الأذكى أو أن الرجل المصرى قد حصل على كأس العالم فى الجاذبية !

هذه ليست سوى أكاذيب وافتراءات .. فإذا كان الطفل المصرى هو الأذكى فماذا نقول عن الطفل اليابانى مثلًا .. وحتى هذا ليس صحيحًا .. لأن الأمر لا يخضع لتصنيف ما.. فلا علاقة البتة بين الجنسية والذكاء أو الجاذبية !

وفى التاريخ المصرى أيضًا ما يومئ لأسطورة المصرى .. حيث تقول بعض المصادر التاريخية إن المصرى القديم هو أول من عرف الزراعة .. وتلك أكذوبة كبيرة جدًا !

وارجع إن شئت لقصة قابيل وهابيل لتعرف أن القربان الذى قدمه قابيل هو حفنة رديئة من القمح إذ كان يعمل مزارعًا .. ولا يمكن أن يكون المصرى القديم هو أول من عرف الزراعة إلا إن كان قابيل مصريًا !

الجسم السليم !

العقل السليم فى الجسم السليم .. من العبارات التى نشأنا على ترديدها بمناسبة وبغير مناسبة ..

هى من العبارات التى تحث على ممارسة الرياضة والعناية بالصحة .. لكننا إن توقفنا قليلًا أمام هذه الكلمات لعلمنا أنها مغالطة كبيرة، بل وهجوم على من فى جسمه مرضٌ أو علة ..

هذه العبارة تعنى أن العلماء يجب أن يكونوا مفتولى العضلات عريضى المناكب وأن المصارعين هم أسلم الناس عقلًا وأفضلهم فكرًا وأقدرهم على نفع البشرية بعقولهم السليمة الصحيحة كأجسادهم !

هذه العبارة تعنى أن ملاكمًا مثل أدولف هتلر أو موسيلينى هم من أصحاب العقول الأكثر سلامة نظرًا لأجسامهم السليمة .. لكن الحقيقة أن عقولهم غير السليمة أودت بآلاف البشر إلى التهلكة نتيجة أطماعهم العسكرية ..

هـؤلاء لم يمتلكـوا عقـولًا سـليمة رغـم امـتلاكهم أجسـامًا سليمة صحيحة !

وفى المقابـل لا يمكـن لتومـاس أديسـون أن يكـون صـاحب عقلًا سليمًا؛ لأنه وكما نعرف جميعًا كانت له رجلٌ أطول من رجل، ولا يمكن لبيتهوفن أن يكون موسيقيًا عبقريًا؛ لأنه كان أصم لا يسمع، ولا يمكن لبشَّار بن برد أن يكون شاعرًا نابغًا؛ لأنه كان ضريرًا كفيفًا !

عباقرة كثر فى أجسادهم عللٌ وأمراضٌ وإعاقات .. لكن هذا لم يؤثر يومًا على عقولهم ..

بإمكاننا أن نقول -تجاوزًا- إن العقل النشيط فى الجسم النشيط .. لكن ربط سلامة العقل بسلامة الجسم —دون رابطٍ حقيقىٍّ بينهما- مغالطة لا تجوز أبدًا ..

دنيا!

وقال الطبيب: مبروك المدام حامل !

انطلقت الزغاريد وتبادل الجميع التهنئة والأحضان والقبلات، وبدأت الرحلة ..

رحلة البحث عن اسم للضيف الجديد على هذا العالم ..

طيلة أشهر الحمل التسعة والزوجان يتباريان فى البحث عن اسم، كلاهما يريد اسمًا جديدًا مستحدثًا .. دون النظر إلى معناه فتجد أسماءً مثل:

طه ويس: وهى ليست أسماءً إنما هى من جملة الحروف المقطعة التى بدأ الله بها بعض سوره مثل: ا ل م .. ح م .. وكذلك ط هـ .. ي س (بتخفيف الهمزات) !!

هُيام: مرض يصيب الإبل فلا تُروى .. فتسير فى الصحراء بحثًا عما يروى ظمأها .. وسُمِّى به العشق لأن هذه الحال تشبه حال العاشق إذا اشتد به الوله !

كندة: القطعة من الجبل (دبشة يعنى) !

رتاج: وهو المغلاق؛ أى ما يُغلق به الباب .. (يعنى قفل) وسُمِّى به كساء الكعبة لأنه يغطِّى الكعبة فيغلقها !

جمانة: فارسى بمعنى حيوانة !

ولم يعد هذا غريبًا أو مستنكرًا خاصةً بعدما أقحمنا أسماء الحيوانات فى أسماء أبنائنا تمامًا كما كانوا يفعلون فى الجاهلية، فلا عجب حين تجد أسماء مثل: أسامة وحمزة وقسورة[1] وأروى[2] ورشا ورنا وريم[3] ومها[4] وكلها أسماء حيوانات .. وكذلك صفا ومروة ورضوى وجودى وكلها أسماء جبال .. وكأن معين الأسماء قد نضب !

تقول إن بعض هذه الأسماء كانت فى زمن رسول الله ﷺ ولم يأمر بتغييرها كما فعل مع غيرها .. نقول إن ثمة أسماء تتناسب مع عصرٍ ولا تناسب غيره، وتليق بشخص صاحبها فقط، مثل مريم: وهو اسمٌ قبطى بمعنى خادمة المعبد؛ أسمتها به

---

[1] - أسامة وحمزة وقسورة من أسماء الأسد .
[2] - أنثى الوعل الجبلى .
[3] - رشا: ابن الظبية – رنا: حيوان من فصيلة الظبى- ريم: الظبى خالص البياض .
[4] - البقر الوحشى .

أمها لأنها نذرتها لخدمة المعبد .. ثم إن رسول الله ﷺ لم يكن مبعوثًا من السماء فقط لتعديل الأسماء .. فضلًا عن إنه لم يغير سوى بعض أسماء زوجاته ولم يأمر كل من كانت لها نفس الاسم أن تغيره .. وكذلك بعض أسماء الصحابة التى كانت مستقبحة مستهجنة آنذاك ..

فقد كانت العرب تسمى أسماءً عجيبة فتجد أسد وصخر وكليبة وخنساء[1] .. ولكن العرب كانت تقصد بأسماء رجالها إظهار القوة؛ فقد كانوا يقولون: إن أسماء أبنائنا لأعدائنا، وأسماء عبيدنا لنا .. فكانوا –لذلك– يحسنون أسماء عبيدهم مثل بلال[2] وزيد[3] ونحوه ..

لكنها فى النهاية قضايا جدلية .. بعضهم يعرف أن حمزة هو اسمٌ من أسماء الأسد ويسمِّى به ابنه ليكون كالأسد قويًّا شجاعًا مهابًا .. أو تأسيًا باسم عم النبى ﷺ ..

---

[1] - البقرة الوحشية .
[2] - ما يُبلُّ به الحلق من ماء ونحوه .
[3] - زيادة وفضل .

وكذلك من يسمى أسامة أو مريم .. وغيرها ..

لكن تُرى ما الذى يدور ببال من يسمِّى ابنه عاصى أو قاسى، أو من يسمِّى ابنته دنيا ..

كلمة دنيا تعنى سافلة وحقيرة ووضيعة .. وقل ما شئت !!

هى مؤنث أدنى .. وأطلقها الله على الحياة الأولى ليشير إلى دنائتها .. ويلفتنا إلى أن الآخرة هى العليا .. فلا تضيعوا الأعلى بالرضا بالأسفل الأدنى الأحقر !!

أذكر فى أحد أعياد الأم السابقة أنى قرأت ملصقًا على أحد الجدران مكتوبٌ فيه: أمى هى الدنيا !

فقلت فى نفسى قبَّحك الله .. أمك هى الدنيا وأمى هى العليا !

وكذلك فى أحد القصائد المقررة فى منهج اللغة العربية على أحد الصفوف جاء فيها: لتكون مصر هى الدنيا !!

وكانت الصدمة حين قرأت اسم الشاعر: أحمد شوقى!!

حتى أنت يا شوقى بك !!

عيسى العوام

هـو صـلاح ذو الفقـار صـديق أحمـد مظهـر وكبـير قـادة جيوشه .. أو ذلك الرجل المسيحى الذى كان يعاون صلاح الدين الأيوبى فى حروبه ضد الصليبيين .. فكان بذلك يعين أهل الحق ممن على غير دينه على أهل الباطل من أهل دينه ..

هى قصة مؤثرة بالفعل .. لكنها من وحى خيال المخرج .. أما التاريخ فله فى قصته قولٌ آخر ولنستمع إليها على لسان أحد مؤرخى زمانه ..

يروي قصته القاضى بهاء الدين بن شداد فى كتابه فيقول: "ومن نوادر هذه الوقعة ومحاسنها أن عوامًا مسلمًا كان يقال له عيسى، وكان يدخل إلى البلد –يعنى عكا أثناء حصار الفرنج لها– بالكتب والنفقات على وسطه –أى يربطه على وسطه– ليلًا على غرة من العدو، وكان يعوم ويخرج من الجانب الآخر من مراكب العدو، وكان ذات ليلة شد على وسطه ثلاثة أكياس، فيها ألف دينار وكتب للعسكر، وعام فى البحر

فجرى عليه من أهلكه، وأبطأ خبره عنا، وكانت عادته أنه إذا دخل البلد طار طير عرّفنا بوصوله، فأبطأ الطير، فاستشعر الناس هلاكه، ولما كان بعد أيام بينما الناس على طرف البحر فى البلد ، وإذا البحر قد قذف إليهم ميتًا غريقًا، فافتقدوه – أى تفقدوه– فوجدوه عيسى العوام، ووجدوا على وسطه الذهب وشمع الكتب، وكان الذهب نفقة للمجاهدين، فما رُئى من أدّى الأمانة فى حال حياته وقد أدّاها بعد وفاته إلا هذا الرجل، وكان ذلك فى العشر الأواخر من رجب أيضًا"[1].

لم يكن عيسى العوام مسيحيًا يومًا .. إنما كان مسلمًا .. وهذه واحدة من جملة المغالطات السينمائية التى لا تكتفى بعرض الحدث التاريخى .. بل تصر على إقحام الدراما فى خيانة صريحة للحدث التاريخى ولأمانة النقل دون تدليسٍ أو تزييف ..

[1] - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية: بهاء الدين بن شداد .

نعمة ربنا !

لا تقل لنعمة ربنا لا أحبه ..

من قائل هذه العبارة ؟ وفى أية مناسبة قيلت ؟

هى الجملة الأشهر على لسان كل الأمهات إذا رفضنا أن نتناول نوعًا من الأطعمة التى تعدها ..

وهذا قول حقٍّ أُريد به باطل .. فليس كل ما خلق الله من نعمةٍ قابلًا لأن يكون طعامًا .. فلماذا لا نقول للبرسيم والشعير والصبَّار نعمة الله !!

إن للطعام شهوة .. إن حضرت أقبلنا على الطعام دون دعوةٍ من أحد .. وإن لم تحضر تلك الشهوة لم يستطع أحدٌ إرغامنا على تناوله .. ولو كان من أمن الدولة !!

ثم إن بعض الطعام لا ينتمى لفئة "نعمة ربنا" وإنما ينتمى لفئة "عك أيدينا" !!

ولا يغضب الله أبدًا إن أعرضنا عن طعامٍ ما ورفضنا تناوله لأن أنفسنا لم ترغبه ..

عن ميمونة قالت: أُهدى لنا ضب[1] فصنعته، فدخل رجلان من قومى من قريش فأتحفتهما به، فدخل النبى ﷺ وهما يأكلان، فوضع يده ثم رفعها، فقال: ما هذا ؟ قلت: ضب، أهدى لنا فصنعته، فطرحه، فذهبا ليطرحا ما فى أيديهما، فقال لهما رسول الله ﷺ: "كلا إنكم أهل نجد تأكلونها وإنَّا أهل تهامة نعافها" [2].

لم يقل له أحدٌ: حرام، أو لا تقل هذا على نعمة ربنا .. فالطعام كما قلنا شهوة .. ولنا كل الحق فى رفضه وعدم تناوله إن لم ينجح فى إثارة شهوتنا ..

[1] - حيوان يشبه التمساح يبلغ طوله حوالى 85 سم، يأكله بعض البدو .
[2] - المعجم الكبير – الطبرانى .

Look إسلامي!

تخيل أنك تجلس فى المسجد تسبح الله فى انتظار الصلاة فيدخل المسجد شابٌّ يرتدى قميصًا أحمر اللون وبنطالًا رياضيًا قصيرًا (pantacourt) ويضع فى عينيه كحلًا، أما شعره فقد قسَّمه على أربع ضفائر !!

ثم كيف يكون الحال إن علمت أن هذا الشاب سيكون هو الإمام فى الصلاة !!

وقبل أن تغضب دعنا نفصِّل هيئة ذلك الشاب ونضعه على ميزان السنة ..

أما عن ملابسه فلا يُشترط أن يرتدى "قفطانًا" ليكون مناسبًا لدار العبادة؛ إذ إن "القفطان" ليس زيًّا إسلاميًّا بالمرة، إنما هو زيٌّ عربى .. كان يرتديه الرسول ﷺ والصحابة .. وكذلك كان يرتديه أبو لهب وأبو جهل والكفار جميعهم !!

أما اللون الأحمر فكان رسول الله ﷺ له بردٌ أحمر يلبسه فى الجمعة والعيدين من حبه له !!

وأما البنطال فهو الأقرب للسنة لكونه قصيرًا يستر العورة ولا يبلغ العقبين !

أما الكحل فقد ثبت أن رسول الله ﷺ كانت له مكحلة وكان ينصح بالكحل لأنه يجلو البصر وينبت الشعر !

أما شعره فقد كان رسول الله ﷺ يرسل شعره أحيانًا ويفرقه أحيانًا ويجمعه فى غدائر[1] أحيانًا !

أكبر مشاكلنا أننا نفترض للأشياء شكلًا معينًا ثم نستنكر من يخرج عن ذلك الإطار الذى رسمناه لهم بأنفسنا والشرع منه براء .. وكأننا نمنع زينة الله التى جعل لعباده ..

[1] - ضفائر .

رضى الله عنه

حينما نذكر أحد الصحابة نتبع اسمه بقولنا رضى الله عنه، وكأنها متلازمة لفظية .. وهذا من قبيل إظهار المحبة والتقدير لصحابة رسول الله ﷺ عن طريق الدعاء لهم ..

ولكن لما كانت هذه الصيغة هى صيغة دعائية فلماذا تقتصر على الصحابة فقط .. لماذا لا أقول وأنا أحكى عن أبى رضى الله عنه .. أو أنا أتحدث عن معلمى أو شيخى أو صديقى رضى الله عنهم وأرضاهم جميعًا !!

نحن حينما نتحدث مع أحدٍ نقول له: الله يرضى عنك .. والأم تقول لابنها: ربنا يرضى عنك ..

الدعاء برضا الله من أعظم وأجلَّ الأدعية التى قد ندعوها لأحدٍ .. ويستوى فيها الصحابة وغيرهم، وربما كان غيرهم بها أولى .. والدعاء بنوال رضوان الله مشروع لا حرج فيه ولا تفريق فيه بين صحابى أو تابعى .. بين قديمٍ أو محدث .. بين سابق أو لاحق ..

ثم إنه لم يرد فى كتابٍ ولا سنة ما يخصص الصحابة بهذا الدعاء دون غيرهم .. بل إنه مستحبٌّ فى حق الجميع .. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [1].

فكان الدعاء برضا الله فى حق كل من آمن وعمل الصالحات وخشى ربه، ولم يختص بها أحدًا بعينه دون غيره .. وأزيدك من الشعر بيتًا إذ أقول إنه ليس ثمة ما يمنع أن نقول لأحدٍ: عليه السلام .. أو صلى الله عليه و سلم أو حتى عزَّ وجل مادام على سبيل الدعاء له !!

[1] - البينة 7-8 .

كورس جاهلى

دائمًا ما تعرض القنوات المختلفة فى المناسبات الدينية أفلامًا تعرض للحياة فى العصر الجاهلى وأيام الإسلام الأولى.. وربما يكون القاسم المشترك بين كل هذه الأفلام هو تلك الأغنية التى يرددها الكفار: نحن غرابا عك ..

تلك الأغنية التى لا نفهم معناها ولا نعى منها سوى نغمتها المألوفة المعتادة فى مثل تلك المناسبات ..

وهى أنشودة جاهلية بالفعل، وأصل الأمر أن قبيلة من اليمن اسمها "عك" كانت إذا أرادت الحج قدَّمت أمامها عبدين أسودين، وكانوا يطلقون على العبد الأسود غراب؛ لذلك كان الغرابان ينشدان: نحن غرابا عك .. عكٌّ إليك عانية .. عبادك اليمانية ..

أما عانية فبمعنى خاضعين مستسلمين، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ [1] ﴾ ..

---

[1] - طه 111 .

وبمناسبة الجاهلية نتعجب كيف يرضى سادة القوم أن يدعوهم الناس أبا لهب وأبا جهل ..

أما أبو لهب فقد أطلق الناس عليه تلك الكنية لأن وجهه كان أبيض مشرب بحمرة فكأن فى وجنتيه لهبًا .. وهذا على سبيل الاستحسان وليس العكس كما نتصور ..

أما أبو جهل .. فكلمة الجهل بالأصل تعنى العنف .. الأمر الذى كان سائدًا فى ذلك العصر لذا حسن تسميته بعصر الجاهلية لكثرة ما فيه من عنفٍ وقتالٍ بين القبائل المختلفة ومنه وصف الله لعباده: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [1]، وتبدو المقابلة واضحة جليَّة فى الآية الكريمة بين الجهل والسلام، ومنه دعاء الرسول ﷺ " ... اللهم إنى أعوذ بك أن أجهل أو يُجهل علىَّ ".

[1] - الفرقان 63 .

حتى الأنبياء

كلما أخطأ أحدنا تعلل بأنه بشرٌ وأنه ليس نبيًا ولا معصومًا .. لكن من قال إن الأنبياء معصومون !

لا ننكر عصمة الأنبياء فى مسألة الرسالة والتبليغ وفى الكبائر، أما فى غير ذلك فهم بشر .. يخطئون ويصيبون ..

سيدنا آدم أول الأنبياء أخطأ وأطاع الشيطان وأكل من الشجرة التى حرَّمها الله عليه وعصى ربه فغوى ..

وسيدنا إبراهيم كذب ثلاث كذبات .. أولها حينما حطم الأصنام إلا كبيرهم وقال إنه من فعل ذلك .. وثانيها حينما خرج القوم وطلبوا منه أن يخرج معهم فقال إنى سقيم .. وثالثها حين دخل مصر وكان عليها ملكًا ظالمًا أمر جنوده أن يحضروا له كل امرأة جميلة .. فلما رأوا سارة زوج إبراهيم سألوه من تلك فقال أختى .. مخافة أن يقتلوه ..

وسيدنا يوسف أخطأ ثلاث مرات .. أخطأ حينما همَّ بها وعوقب بالحبس .. وأخطأ لقوله للذى ظن أنه ناجٍ منهما:

اذكرنى عند ربك .. فعوقب بالمكث سبع سنوات فى الحبس .. وأخطأ حينما قال لإخوته: إنكم لسارقون .. فعوقب بقولهم: فقد سرق أخٌ له من قبل ..

وسيدنا موسى قتل القبطى حينما كان يتشاجر مع الإسرائيلى ..

وسيدنا داود أخطأ حينما حكم بين صاحب النعاج وأخيه بعدما استمع لشكوى أحدهما دون أن يسمع دفاع أخيه ..

وسيدنا سليمان أخطأ حينما شغله حب الخير عن صلاة العصر حتى غربت الشمس .. وكذلك حينما عزم مضاجعة مائة زوجة لينجبن له فرسان يجاهدون فى سبيل الله .. ولم يقل إن شاء الله .. فعوقب أن لم تلد له إلا واحدة .. وضعت له سقطًا ..

وسيدنا يونس أخطأ حينما يئس من قومه ورحل عن قريته من دون أن يأمره الله .. فعوقب بأن ألقاه أهل السفينة فى البحر وابتلعه الحوت ..

أما رسولنا الكريم ﷺ فقد أخطأ حينما أعرض عن ابن أم مكتوم فعاتبه ربه بقرآنٍ يُتلى إلى الآن .. وكذلك فى مسألة ثمر النخل ..

وهذا كله يدخل فى مجال الأخطاء البشرية؛ لأنهم بشر .. لكن إن شئت الحق فأعد قراءة المقال مجددًا .. أكثر من أخطأ منهم لم يتجاوز الخطأ والخطأين .. فى أعمارهم كاملة .. ومعظم أخطائهم مردودة ..

فآدم صدَّق إبليس لأنه أقسم .. ولم يكن آدم يظن أن أحدًا يقسم بالله كذبًا ..

وكذبات سيدنا إبراهيم ليست سوى تعريض وهو مباح ..

أما همُّ سيدنا يوسف فهو نتاج بشريته لكن الأهم أنه لم يستسلم له .. بل أعرض عنها وهرب منها ..

أما موسى فقضيته تفتقر فى الأصل لشرط التعمد والإصرار والترصُّد .. فكل ما كان يقصده هو إنقاذ أحد الرجلين من الموت .. فأدى ذلك –دون قصدٍ منه– إلى مقتل الآخر ..

أما رسولنا الكريم ﷺ فكان مقصده أن يهدى كبار القوم فيهتدى من تحتهم بهداهم .. لكن الله أراد أن يوضِّح له أنه لن يهدى من يحب .. وأن هذا الكفيف الضرير ربما يكون عند الله أعلى مكانة وأرفع شأنًا من هؤلاء ..

وإجمالًا فالأنبياء معصومون فيما يخص تبليغ رسالاتهم، أما بشريتهم فهى كبشريتنا تمامًا .. تخضع لتقديرات عقولهم فى المواقف المختلفة ..

ولأن الشيء بالشيء يُذكر .. أذكر قولًا لأحد التابعين إذ قال: حسبت عمرى فوجدته ستين عامًا .. أى حوالى عشرين ألف يومٍ .. فلو أنى أخطأت فى اليوم الواحد خطأً واحدًا فقط لوقفت أمام ربى يوم القيامة بعشرين ألف ذنبٍ .. فكيف بنا ونحن نخطئ يوميًا عشرات بل ومئات الأخطاء .. فى حين أن الأنبياء لم يخطئوا إلا مرة أو مرتين ..

صحيح .. لسنا أنبياء !!

"ليس" اسمه أحمد !

جاء فى بشارة عيسى للحواريين: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [1].. لكن الآية لا تعنى أن نبينا الكريم ﷺ اسمه أحمد !!

أولًا أحمد ليس اسمًا للرسول ﷺ؛ إنما هو وصفٌ للاسم .. كأن تقول اسمه أعظم؛ أى أكثر عظمة .. أو اسمه أجمل؛ أى أكثر جمالًا ..

كلمة أحمد هاهنا –والكلام لأهل اللغة العربية– صيغة تفضيل .. للدلالة على كونه مُفضَّلًا على غيره فى هذا الفعل..

والمعنى أن اسم النبى الذى يبشر به المسيح سيحمل مبالغةً فى الحمد فيكون أكثر حمدًا؛ أى أحمد ..

وفى اللغة العربية قاعدة تقول إن أية زيادة فى المبنى–عدد الحروف– تقابلها زيادة فى المعنى .. كأن تقول "قتل" أى قام

[1] - الصف 6 – وهذه الإشارة وردت فى إنجيل برنابا (الذى لا يعترف به النصارى) فى الإصحاح 163 – ووردت تلك الإشارة باسم محمد وليس أحمد .

بجريمة القتل، أما أن تقول "قتَّل" فهذا يمنح المعنى إضافة جديدة تفيد المبالغة والتكثير ..

والمثل بالمثل .. فإن المبالغة فى الفعل "حَمَدَ" تكون "حَمَّدَ"، وبذلك يكون الفعل حمَّد أكثر فى المبنى والمعنى ..

وعليه فإن من أصابه شىءٌ من الفعل حمد يكون محمودًا، أما من أصابه شىءٌ من الفعل حمَّد يكون محمدًا ..

وباختصارٍ شديد نقول ليس أحمد هو اسمه، إنما صفة الاسم، كأن تقول اسمه أعظم أو أشرف؛ أى أكثر تعظيمًا وأكثر شرفًا، فـ"اسمه أحمد" معناه أن اسم هذا النبى سيكون أكثر حمدًا، وذو الحمد عند أهل اللغة "محمود"، أما إذا أصاب حمدًا أكثر فهو محمَّد ..

من فضلك ..لاتصعد المنبر!

هداه الله فأطال لحيته وقصَّر ثوبه وتابع شيخًا ثم قرَّر أن يعتلى منبر رسول الله ﷺ ليعلِّم الناس ..ربما كانت نيته خيرًا .. لكن عمله لم يكن كذلك .. ذلك لأن تعليم الناس يستلزم تعليم الذات أولًا .. لا يكفى أن أكون عارفًا بآيتين وحديثين حتى أصعد المنبر ، إنما يجب أن أُلمَّ بحزمة من العلوم والمعارف.. أولها علوم اللغة .. كالنحو والبلاغة؛ وإلا لما فهمت المقاصد، ولأوقعت الناس-من حيث لا أدرى- فى المفاسد ..

بعضهم يظن أنه مادام الله قد ساق إليه الخير فعليه أن يسوقه للآخرين .. وهذا صحيح .. لكنه لن يتمكن من ذلك إلا بكثيرٍ من الاعتبارات .. عليه أن يتعلمها أولًا .. ولا يتصدَّى لتعليم الناس إلا بعد أن يكتسب المهارات اللازمة لذلك .. فلا أحد يستطيع أن ينكر الهداية على الصحابة لكن بعضهم كان ينقصه العلم فأنكر رسول الله ﷺ عليهم فى قصة الرجل الذى شُجت رأسه: عن جابر قال: خرجنا فى

سفر فأصاب رجلًا منا حجرٌ فشجه[1] فى رأسه ثم احتلم، فقال لأصحابه: هل تجدون لى رخصة فى التيمم؟ قالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبى ﷺ أخبر بذلك قال: "قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العىِّ[2] السؤال، إنما كافيه أن يتيمم ويعصب على جرحه بخرقة[3] ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده"[4] .

لا ننكر أبدًا أن هؤلاء أصحاب نية حسنة، لكنهم يفتقرون إلى ما هو أهم من النية .. يفتقرون إلى العلم .. فالتعليم لا يكون بمجرد الاهتداء .. بل بالتعمق فى العلم وتعليم الذات أولًا؛ فلا يعلِّم الناس إلا عالم ..

ومما يدعو للحسرة أن مسوغات العلم فى بلادنا صارت لحية وعمامة وكتابًا محشورًا تحت الإبط !!

---

[1] - جرحه .
[2] - الجهل .
[3] - قطعة من القماش .
[4] - رواه البيهقى فى سننه الكبرى والصغرى وأبو داود فى سننه .

أما ما ينطقون به فلا يهم إن كان مرفوعًا أو منصوبًا .. فتجد أحدهم يرفع المفعول وينصب المضاف ويجر المبتدأ .. حتى فى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ..

ولا يعرف الفرق بين المكى والمدنى .. والناسخ والمنسوخ.. والمحكم والمتشابه ..

ولا يعرف درجات الحديث بين صحةٍ وضعفٍ وربما يردد الأحاديث الموضوعة دون علمٍ منه بالأصل ..

وربما لا يحسن أحدهم التفريق بين الحديث النبوى ونظيره القدسى ..

ولا يرى اختلافًا بين الفاعل والمفعول .. والمجرد والمزيد.. والخبر والإنشاء .. والحقيقة والمجاز ..

ولا يفرِّق بين الواجب والمستحب والمباح والمكروه والمحرم، لا يعرف الفرق بين قطعى الدلالة وظنى الدلالة ..

يتعصَّب لرأى شيخه ولا يعرف من الفقه إلا أقله ولا يحسن من المذاهب -الفقهية- إلا ما سمعه .. يقرأ كتابًا

فيصبح به عالمِا فقيهًا واعظًا ينصح الناس ويقدِّم لهم العلم- على حد زعمه- رغمًا عنهم !!

وكأن من قرأ بيتًا من الشعر صار شاعرًا .. وأى تلميذٍ فهم درسًا أمكنه أن يصبح معلمًا !!

ومن جملة الهراء الذى سمعت أذكر فى خطبة عصماء قول الخطيب فى حق خالد بن الوليد وعمرو بن العاص أنهما من العشرة المبشرين بالجنة !!

أمثال هؤلاء لا يصلح معهم إلا شيءٌ واحد –إذا دخلت أحد المساجد يومًا ووجدته على المنبر- أن تقول وأنت تستند إلى أحد الجدران فى المسجد: اللهم إنى قد نويت النوم !!

فلا تدعهم يلوثوا أفكارك ويهدموا ما بلغك من علمٍ بجهلهم الدينى واللغوى والتاريخى !!

وبكل الحب والتقدير أدعو هؤلاء بعدم اتخاذ موقع رسول الله ﷺ على المنبر إلا حينما يكونون مؤهلين بالعلم جاهزين بالمعرفة لمهمة عظيمة كتلك ..

إلى أصحاب القلوب الرحيمة

لأن المصريين عاطفيون بطبعهم تجدهم لا يتحملون إعلانات مستشفى القلب والسرطان، وكذلك إعلانات الفقر والجوع وبنك الطعام وغيره ..

وتجدهم يسارعون بالتبرع للقضاء على ضلعى التخلف: الفقر والمرض ..

لكنهم جميعًا يُغفلون رأس الحربة: الجهل .. وهو الأخطر من بين كل الأوبئة التى قد تصيب المجتمع ..

ذلك لأن المرض يُقضى عليه بالعلم؛ باختراع أدوية وأجهزة وما شابه ..

والفقر يُقضى عليه بالعلم؛ لاستدرار المال بشكل دائم ودورى ومتصاعد ..

وأتساءل لماذا دومًا يؤلمنا المرض والفقر ولا نتألم للجهل أبدًا، لماذا يمكننا أن نتبرع بأموالنا لكفالة أسرة فقيرة أو طفل مريض، بينما لا نفكِّر أبدًا فى كفالة طالب علمٍ ؟

كل أصحاب القلوب الرحيمة يفكرون فى بناء مستشفى خيرى يعالج الناس بالمجان أو مشروع خيرى لمساعدة الفقراء والمحتاجين .. ولا أحد يفكِّر فى بناء مكتبة خيرية مثلًا أو أكاديمية تعليمية خيرية .. أو يساهم فى توفير بعض المراجع والمصادر غالية الثمن لمحتاجيها .. أو يعيد طباعة مخطوطات نادرة .. أو يتبنى إنشاء معملًا للتجارب العلمية مثلًا ..

إن محاربة الفقر والمرض هى من أشرف ما قد يفعل الإنسان .. لكن ليتنا نقضى عليهما قضاءً نهائيًا .. وهو ما لن يكون إلا باتخاذ العلم سبيلًا لذلك .. لذلك ففى آذان أصحاب القلوب الرحيمة أهمس .. اكفل طالب علم تدخل الجنة ..

وبالمناسبة .. طالب العلم ليس بالضرورة أن يكون تلميذًا فى المدرسة .. قد يكون دكتورًا فى الجامعة ..

الموهبة

وفى ختام البرنامج قالت المذيعة للضيف: لاشك أن الله قد وهب هذا اللاعب موهبة عظيمة ..

فأومأ الضيف برأسه موافقًا: هذا مما لاشك فيه ..

أغلقت التلفاز وجعلت أتفكر بما قالته المذيعة وتمَّم عليه السيد الضيف فشعرت باستياءٍ كبيرٍ تجاه فكرة الموهبة تلك ..

لماذا وهب الله هذا اللاعب تلك الموهبة ولم يهبنيها ؟ ولماذا فضَّله الله علىَّ بتلك المنحة ؟

أعتقد أن فكرتهم عن المواهب تصم الله بالمحاباة تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا ..

ربما أرى أن تفوُّق لاعبٍ ما فى لعبة ما أو تميُّز أديبٍ ما فى فرعٍ من فروع الأدب أو وصول أى شخصٍ لدرجة متقدِّمة فى أى منحى من مناحى الحياة ليس مجرد منحة سماوية اصطفاه الله بها محاباةً له .. ولا قرعة قدرية أصابته تمييزًا له عن غيره من بقية خلق الله غير المحظوظين ..

إنما أرى الأمر بشكلٍ مختلف .. أرى أن كل إنسانٍ لديه استعدادٌ فطريٌّ للنبوغ .. لكن هذا الاستعداد قد يقابل اهتمامًا من الشخص أو إهمالًا .. وهذا ما يصنع النجاح ..

فـ ماردونا مثلًا لم يكن يمتلك قدمًا تختلف عن قدمى .. نفس الشكل التشريحى ونفس عدد الأصابع .. لكن الاختلاف كله يكمن فى التركيز .. يستطيع ماردونا أن يركِّز كل تفكيره فى قدمه فيستطيع أن يبدع بها، فى حين أننى لا أستطيع ذلك .. وكذلك شكسبير ونيوتن وغيرهم من المبدعين والنابغين .. كلٌّ منهم استطاع أن يركز كل تفكيره فى مجاله فنجح فيه ..

وثمة دليلٌ مادىٌّ على ذلك .. إذا فقد ماردونا تركيزه فى الملعب فإن قدمه حينها تتساوى مع قدمى .. لا تنتج المنتظر منها، وكذلك أى مبدعٍ إذا فقد تركيزه فى مجاله فقد قدرته على الإبداع والإنتاج .. الذى لا يتأتى بالموهبة .. إنما يتأتى بالتركيز الإرادى الذى يختلف فيه كلُّ إنسان عن نظيره ..

ومثل ماردونا نيوتن الذى لا يختلف عقله عن عقولنا غير أنه ركَّز تفكيره حين سقطت التفاحة عليه فى تحديد سبب السقوط .. بينما نحن كنا سنكتفى بالتركيز على التهامها !!

فما يميِّز المبدع عن الإنسان العادى هو تركيزه فى قضيةٍ ما، أما غير المبدع فيستسلم للواقع ظنًا منه أن الأمر كله يخضع لقانون الموهبة التى توزِّعه يد القدر على من تشاء وتستثنى منه من تشاء .. بينما الأمر فى الحقيقة يخضع لإرادة الإنسان وتركيزه فيما يريد النجاح فيه ..

وهذا ما نستطيع أن نلحظه بوضوحٍ فى علماء العرب من الرعيل الأول .. الذين نبغوا فى عدة علومٍ دفعة واحدة .. فتجد ابن سينا حكيمًا وفيلسوفًا وطبيبًا .. وكذلك ابن النفيس الذى كانت له مصنفات فى الطب وفى السيرة وفى المنطق وفى الأدب .. وكذلك عباس بن فرناس الذى كان عالمًا ومهندسًا وفلكيًا وفيلسوفًا وله اختراعات كثيرة بخلاف محاولاته للطيران.. ومثله أيضًا ابن رشد الذى كان قاضيًا ودرس المنطق والفلسفة

والفقه وعلم الكلام والطب .. هؤلاء نبغوا فى علومٍ متنوعة لأنهم كانوا يعيشون فى عصرٍ خالٍ من المشوشات التى تصرف انتباهنا وتشتت تركيزنا فتشوه أفكارنا فلا ننتج شيئًا ..

والكارثة الكبرى تكمن –كما أسلفنا– فى الاستسلام للواقع والتعلل بأن الله لم يمنحنا موهبة كتلك التى منحها غيرنا.. وهذا ليس غير شمَّاعة يعلِّق عليها المخفقون إخفاقهم ويقللون بها من نجاحات الناجحين التى لم تكن إلا بفضل اصطفاء الله له بموهبةٍ ما !!

التربية ليست كل شئ!

يظن السواد الأعظم من الناس أن الأطفال أبناء بيئتهم ونتاج تربيتهم وحصيلة ما يغرسه فيهم الأب والأم ..

وهذه فكرة غير حقيقية .. فالأطفال ليسوا أبناء والديهم فقط إنما هم نتاج ما يزرعه فيهم المجتمع بأسره .. وقبل كل هذا هم أبناء إرادتهم الذاتية مهما حاول الآباء معهم ..

ومن ينكر ذلك عليه أن يفسر لنا كيف كان ابنا آدم عليه السلام مختلفين .. أحدهما مال إلى سبيل الخير والسلام، والآخر حاد إلى جانب الشر والعدوان .. رغم أن الأب واحد والأم واحدة والتربية واحدة ..

وكيف عصى ابن نوحٍ عليه السلام وغوى رغم أن أبيه كان من أولى العزم من الأنبياء ..

وفى المقابل لك أن تتخيل كيف تكون تربية صانع أصنام.. وما المنتج الذى يُنتظر أن يقدِّمه للبشرية .. وماذا تقول إن علمت أن نتاج تربيته كانت سيدنا إبراهيم عليه السلام !!

يُغفل البعض أن الأطفال كالأرض .. بعضها يصلح لزراعة القمح والقطن .. وبعضها لا يصلح إلا لزراعة البرسيم .. وبعضها غير قابل للزراعة بالأصل .. مهما حاول المزارعون؛ ربما لأنه لا يرغب فى ذلك.. يمتلك ذلك الاستعداد الفطرى لكنه لا يرغب فى تنمية مقومات النجاح عنده ..

هذا كله لا يعنى أن التربية لا دور لها فى تكوين شخصية الإنسان .. بل لها جليل الدور وعظيم الأثر .. لكن الدور الأهم والأكبر يكون للإنسان ذاته .. الذى هداه الله النجدين، وعليه أن يختار بنفسه .. بعدما شكَّلت التربية جزءًا من تكوينه .. وأكمل هو تكوين نفسه بنفسه .. بعدما اختار من العناصر التربوية التى زرعها الآباء ما شاء وترك ما لم يشأ.. فنبذ منها وأضاف عليها وعدَّل فيها حتى وصل بنفسه لما وصل إليه ..

النظرية المبقعة !

طوال عهدنا بالعلم المصرى وهو متماسك النسيج متناسق الألوان .. لكن هذا ما اختلف فى الآونة الأخيرة إذ تناحرت ألوانه وتراشقت الاتهامات .. بين لونٍ يدَّعى لنفسه "بياض" القلب وطهارة السريرة، ويرمى الآخر بـ "حَمَار" اليد ودموية المذهب، فيما يدافع الآخر عن نفسه بـ "حُمْرَة" التضحية ولهيب الفداء، ويتهم غريمه بـ "بياض" الفكر وفراغ المنطق .. فى حين يقف "السواد" الأعظم موقف المتفرج المتابع الذى لا تعنيه نتيجة هذا الصراع !!

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد .. فهذا اللون يدَّعى أنه الأصل فى النسيج وينعت نفسه بالشرف والوطنية، فى حين أن الآخر لا يمثل سوى بقعة إرهابية متطرفة، بينما يرى اللون الآخر نفسه هو الأصل واصفًا نفسه بالربانية والاعتدال، راميًا الآخر بأنه بقعة انقلابية خائنة !!

هذا ويسعى كل لونٍ منهما إلى إقصاء الآخر من النسيج.. فهذا يحرق وهذا يقاطع ليبقى النسيج فى النهاية مبقعًا مرقعًا مهلهلًا !!

ربما أغفل اللونان أنهما لازالا جزءًا من نفس النسيج .. ويصعب بل ويستحيل إقصاء أحدهما عنه .. لكنهما نسيا-فى جملة ما نسياه- أنه بمسحوق المنطق المركَّز المزوَّد بحبيبات الحب الفعَّالة يمكنهما القضاء على تلك البقع التى طغت على النسيج .. على الأقل لصالح السواد الأعظم !!

الإرهاب أمر إلهى !

هل تريد أن تكون إرهابيًا بحق ..

هل ترغب أن يرضى الله عنك ..

هل تحب أن تكتب مع المجاهدين ..

هل تريد أن تنفِّذ أمر الله ﷻ بالإرهاب ..

هل تسعى حقًّا للاقتداء برسول الله ﷺ وصحابته فى تطبيق الإرهاب ..

أعرف أنك الآن ترفع حاجبك الأيسر وربما تفتح فاك وتطلق للسانك العنان فى السب والشتم ..

لكن أقول لك ..

لا تتسرع وتلقى الأحكام قبل أن تقرأ ..

لا تنعتنى بالكفر والفسق والضلال قبل أن تقرأ ..

أولًا لابد أن تعرف وتفهم أن الله أمرنا بالإرهاب فى قرآنه الكريم صراحةً ودون مواربة بكلامٍ واضحٍ صريحٍ جلىّ لا يحتاج تأويلًا ولا تفسيرًا فقال فى محكم آياته: ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا**

ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴿ [1] .

إذن فالله يأمرنا بإعداد القوة المفرطة إذ قال "ما استطعتم " يريد القوة القصوى لإرهاب أعدائه وأعدائنا .

وإذا كان الأمر بالإرهاب بهذا الوضوح فى كتاب الله، فالسؤال يكون : ومن الذى يتوجب علينا إرهابه ؟ ومن هنا نبدأ الكلام ..

الإرهاب الذى هو ركن أصيل فى الدين بموجب الآية السابقة يكون فى حق من تتوافر فيه الشروط؛ عدو لله ولنا، أما عداوة الله فتستلزم عدم الإيمان به، وأما عداوتنا نحن فتستلزم الاعتداء .. إذن فلا إرهاب إلا على كافرٍ قدَّم إلينا العداوة وبدأنا بها ..

ومعنى هذا أن المسلم إذا عادى مسلمًا فلا يجوز له إرهابه؛ لأنه انتفى عنه أحد الشرطين ..

---

[1] - الأنفال 60 .

وكذلك المسلم لا يجوز له إرهاب الكافر إن أمنه ..

إذن فلا إرهاب إلا لمن يتوافر فيه شرطان:

1- عداوة الله بالكفر .

2- عداوة المسلمين بالاعتداء عليهم .

ولكن يبقى سؤالٌ أكثر أهمية .. ماذا تعنى كلمة إرهاب ؟

وما مواصفات الإرهابى الذى يريده الله ؟

إن الإرهاب كما عرَّفه أهل اللغة هو التخويف ..

نعم التخويف .. فقط، دون قتلٍ أوتفجيرٍ أوسفكٍ للدماء، بل إن المتأمل فى كلام الله يعلم أنه ما أمرنا بالإرهاب إلا حرصًا على الأرواح وحفظًا للأنفس !!

والأمر فى الآية الكريمة لم يرد إلا بتخويف من توافرت فيه الشروط .. ولكن كيف يكون هذا التخويف .. هل بترويعهم وتهديد أمنهم ؟؟

أبدًا .. لم يأتِ الأمر إلا بالاستعداد وتجهيز القوة الضاربة فقط لإشعار العدو أننا لسنا لقمة سائغة .. مما يجعله يفكر

كثيرًا قبل أن يتخذ قرارًا بالاعتداء .. والغاية من وراء هذا كله هى حفظ الحياة لنا وله !

الغاية هى درء كل مسوغات الفتنة والحروب حتى مع من ابتغى غير الإسلام دينًا وغير الله إلهًا !

الغاية هى إقرار السلام الذى أمرنا الله أن نستجيب لطالبيه حتى وإن كانوا كفارًا !

إذن فالتعريف الحقيقى للإرهاب هو التخويف، ومن باب خلط المسميات أن نطلق على القتل إرهابًا ..

محمد ﷺ إرهابي!

هل تعلم أن محمد ﷺ لم يكتفِ بالأمر بالإرهاب.. وإنما مارسه مع كفار قريش، بل ومع حميه أبي سفيان نفسه !

جاء أبو سفيان -وكان مشركًا آنذاك- رسول الله ﷺ وكان يعد جيشًا لفتح مكة .

فى البداية رفض رسول الله ﷺ مقابلته، وقابله العباس عم رسول الله ﷺ .. وبدأ الإرهاب ..

ذهب به العباس إلى رسول الله ﷺ مرورًا بكتائب جيش المسلمين .. وأبو سفيان يذهله ما يرى؛ إذ لم يرَ جيشًا كهذا ولا استعدادًا كذلك .

فلما وصل به إلى رسول الله ﷺ دار بينهما حوارٌ قصيرٌ فاز فيه أبو سفيان بمزية؛ وهى أن من يدخل بيته من المشركين فهو آمن، ولن يقربه جيش المسلمين .

أراد أبو سفيان أن يهرع إلى مكة ليحذر أهلها قوة جيش المسلمين، لكن فصلًا آخر من الإرهاب كان على وشك أن يبدأ ..

أمر رسول الله ﷺ عمه العباس أن يحبس أبا سفيان فى مضيق الوادى عند خطم الجبل حتى يرى جنود الله فيخافها فيحذِّر منها قريشًا ..

هذا هو المفهوم الصحيح لكلمة الإرهاب .. التخويف لحفظ الأرواح ..

لما رأى أبو سفيان الجيش وهو يتحرك إلى مكة هاله ما رأى، واعترف أن قريشًا لا قبل لها بهذا الجيش .

كان بإمكان رسول الله ﷺ بهذا الجيش القوى أن ينتقم لنفسه ولأصحابه .. كان بمقدوره أن يقضى على مشركى مكة تمامًا ويستعيد ما سلبوه منه ومن أصحابه .. لكنه نفذ الأمر الإلهى بحذافيره .. أعد لهم ما استطاع من قوة وأرهبهم به فكيف كانت النتيجة ؟

لم تسعَ قريشٌ لقتال محمدٍ وأصحابه، بل اعتصموا فى بيوتهم وفى المسجد وفى دار أبى سفيان ..

ثم خرجوا للقائه .. ذلك اللقاء الشهير الذى قال لهم فيه رسول الله ﷺ : ماذا تظنون أنى فاعلٌ بكم ؟

فقالوا وهم يحاولون كسب مودته وعطفه ومناشدته الرحم: أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريم .

لم يطلب قصاصًا لما أوقعوه به وبأصحابه .. لم يقتل ولم يأسر ولم يعذب .. وهو قادرٌ على ذلك له الحق فيه إن أراده بما فعلوه من قبل ..

قال بمنتهى الحلم والرأفة وبعفوٍ لم تعرف البشرية له مثيلًا: لا أقول لكم إلا كما قال أخى يوسف: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء ..

حتى كلمات اللوم لم يقلها .. نظرات المعاتبة لم تصدر عنه، بل والأكثر من ذلك أنه بعدما فتح مكة ترك مفتاح الكعبة فى يد كافر ولم ينزعها منه !

لقد أرهب رسول الله ﷺ أبا سفيان خوفًا عليه وعلى أهل مكة جميعًا .. جيش المسلمين كان منتصرًا لا محالة بمقاييس الحرب والقوة؛ إذ كانوا ينتصرون وهم قلة، فكيف الحال وقد بلغوا ما بلغوا من العدة والعتاد ..

لكن رسول الله ﷺ أراد نصرًا لا يشهد قتلًا ولا يريق دمًا، فأخافهم حتى يحفظ عليهم حياتهم .. ثم عفا عنهم، ولم يقلل من شأن أحدهم، ولم ينزع من أحدهم شيئًا كان بيده، بل ولم يُكره أحدهم على الدخول فى الإسلام !

فكانت النتيجة أن أصبح هذا اليوم هو أكثر يومٍ يشهد دخول أفواج لا تعد ولا تحصى فى الإسلام .. دخلت قريش أفواجًا فى دين الله .. طواعيةً لما رأوا هذا الدين الذى يحرص حتى على حقوق أعدائه .

الجهاد ≠ القتل

ترسَّخ فى أذهان الجميع أن الجهاد هو القتل فى سبيل الله، وتكونت صورة المجاهد فى مخيلتنا فى هيئة رجل يرتدى زيًّا إسلاميًّا وتزين وجهه لحية غير مهذبة ويحمل فى يده سيفًا .. وربما تدخلت ظروف العصر وحوَّلت السيف إلى رشاش أو قنبلة ..

هذا الصورة الثابتة فى أذهاننا تجد خلافًا واسع النطاق .. بين فريقٍ يسمى صاحبها مجاهدًا وفريقٍ آخر يسميه إرهابيًا ..

مبدئيًا لا يمكننا أن نسميه إرهابيًا لأن الإرهابى كما أسلفنا لا يقتل إنما يخوِّف فقط حرصًا على الحياة .. أما هذا فهو يهدر الحياة ويسفك الدماء .. فهل نسميه مجاهدًا ؟!

ويطل السؤال مجددًا .. ما هو الجهاد ؟

هل الجهاد هو القتل كما ترسخ فى أذهاننا ؟

أولًا الجهاد هو بذل الجهد، ولا يكون فى القتل بذلٌ للجهد .. القتل الآن يكون بإطلاق رصاصة أو تفجير عبوة أو نزع فتيل .. إن القتل أمرٌ ميسورٌ هيِّنٌ لا جهد فيه ..

إنما الجهد كل الجهد فى محاولة احتواء الآخر .. محاولة استيعابه .. ومحاولة تحمله .. لا محاولة قتله ..

ثم إن كان الجهاد يساوى القتل لكان جهاد النفس يساوى قتل النفس، وبالتالى يكون المنتحر أكثر الناس جهادًا؛ إذ أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر حسبما أشار رسول الله ﷺ ..

وهذا قولٌ فصلٌ ينهى الجدل حول معنى الجهاد .. فمجاهدة النفس هى محاولة مساعدتها على التعلق بالله والالتزام بطريقه المستقيم والابتعاد عن كل ما يغضبه ببذل الجهد وليس ببذل الدم ..

وليس الله ﷻ بحاجة لأن نقتل من أجله أو نيابة عنه .. لم يخلقنا الله لنسفك الدماء .. فسفك الدماء هو إفسادٌ فى

الأرض وجاء فى معرض ذم الملائكة للإنسان قبل أن يُخلق .. ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[1] ..

الله لم يخلقنا ليمكننا من دماء بعض ولا من رقاب بعض لمجرد خلافٍ بيننا .. وإلا لما أرسل رسلًا يهدون المخالفين وكان الأولى به أن يرسل بدلًا منهم سفاحين !!

إن من يظن أن الجهاد هو القتل يروِّج لفكرة أن الإسلام انتشر بحد السيف ويُغفل واجبه فى نصح الناس وإرشادهم .. يُغفل أن من قتل نفسًا فكأنما قتل الناس جميعًا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا .. يُغفل أن هداية نفسٍ واحدةٍ تعدل بل وتفوق نعم الدنيا ونعيمها ..

لا يعى هؤلاء أن هذه النفس ليست واحدة ..

تلك النفس الواحدة تتزواج وتتكاثر وتنتج أنفسًا كثيرة .. تخيل أن هذه النفس اهتدت بسببك .. كم نفسًا ستتبعها فى الهداية، وبالتالى فى صحيفة حسناتك ؟

---

[1] - البقرة 30 .

تخيل أيضًا أنك قتلتها وأوقفت هذه الذرية اللامنتهية !!

إن الله حينما يتحدث عن النفس يعادلها بالناس جميعًا وهذه حقيقة .. لأن النفس لا تقتصر على ذاتها فحسب .. إنما هى بذرة تنتج ذرية ممتدة إلى ما شاء الله ..

نخلص من هذا إلى أن الجهاد لا يعنى القتل .. قد يعنى القتال .. وثمة فرقٌ كبير بين القتل والقتال .. القتل هو اعتداء أما القتال فله ضوابط كثيرة ..

حد السيف

بعض أعداء الإسلام يروجون لفكرة أن الإسلام انتشر بحد السيف وبسفك الدماء وبإكراه الناس على اعتناقه واضعين نصب أعينهم معادلة صريحة واضحة مفادها إما الإسلام وإما القتل ..

وهذا غير حقيقى .. بل ويحمل الكثير من التجنِّى على الإسلام الذى لم يجبر أحدًا على اعتناقه، بل وأعلنها صريحة .. لا إكراه فى الدين .. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..

أما السيف فكان يُشهر فى وجه من يريد أن يمنع تبليغ الرسالة، ولم تُعلن الحرب إلا على من أعلنها أولًا ..

أمرنا الله تعالى أن نبلغ الناس بتعاليم الإسلام .. ولا نجبرهم على اعتناقه أو الدخول فيه عنوة ..

أما الحروب فكانت مع جيوشٍ منعوا المسلمين من تبليغ رسالتهم إلى العوام .. بل واعتدوا على من أراد تبليغ رسالات ربه ..

فرسول الله ﷺ كان يحرص على المدنيين حرصًا كبيرًا ويحذر أمراءه من مغبَّة التعرض لهم بسوءٍ وكان إذا بعث جيوشه قال: "انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ لاَ تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلاَ طِفْلًا وَلاَ صَغِيرًا وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ تَغُلُّوا[1] وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ[2]" .

بل وأكثر من ذلك كان ﷺ يقول: ".. وَلاَ تُمَثِّلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ وَلاَ أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ[3]" .

وعلى هذا العهد مضى صحابة رسول الله ﷺ من بعده، وانظر إلى أبى بكرٍ وهو يوصى يزيد بن معاوية حينما خرج للقتال فى سبيل الله : ".. وَلاَ تَقْتُلُوا كَبِيرًا هَرِمًا وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ وَلِيدًا وَلاَ تُخَرِّبُوا عُمْرَانًا وَلاَ تَقَطَّعُوا شَجَرَةً إِلاَّ لِنَفْعٍ وَلاَ تَعْقِرَنَّ بَهِيمَةً إِلاَّ لِنَفْعٍ وَلاَ تُحْرِقَنَّ نَخْلًا وَلاَ تُغْرِقَنَّهَ وَلاَ تَغْدِرْ[4].. "

هل هذا دينٌ انتشر بحد السيف ؟

---

[1] - أى لا تخونوا فى الغنائم .
[2] - رواه البيهقى فى سننه الكبرى .
[3] - رواه أحمد فى مسنده .
[4] - رواه البيهقى فى سننه الكبرى .

إنما هذا دينٌ حنيفٌ يحرص على أعدائه مثلما يحرص على أوليائه .. يحرص على حياة أعدائه وأرواحهم ويحفظ لهم حقوقهم .. يسعى بكل ما أوتى من قوةٍ ليهديهم إلى الطريق الصحيح .. يحرص كل الحرص على السلام .. كيف لا والله من أسمائه السلام .. وجنته ومنتهى نعيمه اسمها دار السلام ..

إن الله يأمرنا أن نستجيب لمن يرغب بالسلام ويميل إليه ويجنح له: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1] ومن لطائف القرآن أن هذه الآية هى الآية التالية لقوله: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ ..﴾ [2] .. أى إذا أعددتم قوتكم وأرهبتهم هذه القوة فمالوا إلى السلام فاقبلوه منهم وكفوا أيديكم عنهم ولا تتعرضوا لهم ..

ومن يخالف ذلك ينتظره غضبٌ شديد ..

---

[1] - الأنفال 61 .
[2] - الأنفال 60 .

هلا شققت عن قلبه ؟!

كانت المعركة فى أوجها حينما انفرد أسامة بن زيد ومعه رجلٌ أنصارى بأحد المشركين، فقال المشرك: لا إله إلا الله .. أسلم المشرك بين يدى أسامة وصاحبه الأنصارى .. لكن أسامة عاجله بضربةٍ من سيفه أردته قتيلًا ..

أسرع الرجل الأنصارى إلى رسول الله ﷺ يخبره بما جرى، فاستدعى رسول الله ﷺ أسامة ليسأله ..

يقول أسامة: " فأتيت النبى ﷺ قال لى: أقال لا إله إلا الله ثم قتلته ؟!

قلت: إنه لم يقلها من قِبَل نفسه، إنما قالها فرقًا[1] من السلاح ..

قال لى: أقال لا إله إلا الله ثم قتلته ؟!

فهلا شققت عن قلبه حتى تعلم أنه إنما قالها فرقًا من السلاح؟!

---

[1] - خوفًا .

قال أسامة: فما زال يكررها علىَّ: "أقال لا إله إلا الله ثم قتلته" حتى وددت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ "[1] .

وفى هذا نزل قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤ ﴾ [2]

وتجدر الإشارة هاهنا إلى قوله تعالى: "كذلك كنتم من قبل" للدلالة على انتفاء أية أفضلية ذاتية فى الإسلام أو الإيمان حيث أتبعها الله بقوله: "فمن الله عليكم"؛ أى أن منة الله وتوفيقه هى الأصل فى الهدى، وكونى أصبحت من المهتدين لا يعد مسوِّغًا لمحاكمة الآخرين الضالين حسب ظنى، وعسى أن يكونوا خيرًا منى عند من يعلم السر وأخفى ..

---

[1] - رواه النسائى فى سننه الكبرى .
[2] - النساء 94 .

وثمة لطيفة أخرى فى الآية .. حيث قال: ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام .. لم يقل الإسلام .. وإنما أشار إليه ودل عليه بمعنى من معانيه .. السلام .

ونخلص من هذا كله إلى أن الإسلام لا يحرِّض على القتل ولا يحض عليه .. إنما الإسلام دين السلام ..

أما القتال فهو شأن كل الأمم .. كل دولةٍ ولها جيشٌ يحميها ويحمى أهدافها ..

وينفرد جيش الإسلام عن كل الجيوش بحرصه على السلام، يسعى إليه بكل السبل ويحرص عليه كل الحرص، ويفتح الباب أمام راغبيه ويحفظ دماءهم وأرواحهم ..

يحرِّم ويجرِّم –من قبل كل القوانين البشرية– قتل الأبرياء وتدمير المدنية وإلحاق الأذى بالآخرين ..

أما تلك الصورة التى يحاول البعض إلصاقها بالإسلام فهى من ادعائهم وتلفيقهم .. وهذا أمرٌ معتادٌ منهم معروفٌ فى حقهم ..

نابليون vs هتلر !

يعد نابليون بونابرت إمبراطورًا عظيمًا وقائدًا ينحنى التاريخ لاسمه تواضعًا، ولا يملك إلا أن يسجل بطولاته بمدادٍ من ذهبٍ فوق صفحات مشرقة ناصعة ..

أما أدولف هتلر فهو ذلك السفاح النازى الذى تتبرأ منه ألمانيا وتعيّرها كل شعوب العالم بتلك الفظائع التى ارتكبها ذلك الوحش غير الأدمى ..

هكذا تخبرنا كتب التاريخ .. وإن شئت الحقيقة .. فلا فرق بين هذا وذاك، كلاهما أراد لنفسه السلطة الواسعة والسيطرة على العالم بأسره ..

لكن الفارق الوحيد بينهما أحدثه كُتَّاب التاريخ وحدهم؛ لأن التاريخ فى الحقيقة لا تكتبه سوى الأهواء والأيدلوجيات المختلفة؛ لذلك لا ترى إجماعًا تاريخيًا على شخصية بعينها، فكل الشخصيات التاريخية لها مؤيد ومعارض؛ فإن كان قلم التاريخ بيد المؤيد صار هذا الشخص ملاكًا، وإن كان بيد

المعارض أصبح شيطانًا، وتلك حقيقة لا ينكرها أحد، فالتاريخ هو ما يراه المؤرخ .. وليس ما حدث بالفعل !

ولأن هتلر قتل اليهود وأقام لهم المحارق أصبح هتلر سفاحًا تتبارى كتب التاريخ فى توجيه اللعنات والويلات له بمناسبة وبدون مناسبة .

أما نابليون فلم يقتل غير مسلمين؛ لذلك كان قائدًا عظيمًا وفاتحًا وهاديًا وربما رسول الحضارة والمدنية الحديثة إلى تلك الدول التى اقتحمتها جيوشه .

العالم يدين وبشدة ما اقترفه هتلر فى حق السامية، بينما يغض الجميع الطرف وبمنتهى الفجاجة عن مجازر نابليون على أرض العرب وفى حق السامية أيضًا .. وكأن سامية اليهود أرقى من سامية العرب !

وعلى النهج نفسه نجد أن غير المسلم إن قتل واحدًا أو ألفًا يعدونه قاتلًا وسفاحًا ومختلًا عقليًا ..

أما المسلم فلو قتل لا يكون إلا إرهابيًّا ! والأدهى من ذلك أنه يمثل الإسلام بفعلته هذه !

عند المسلم فقط يصبح القتل قضية دينية لا تمسه وحده بل وتمس دينه الذى يحرض على العنف ويحض على سفك الدماء كما يدَّعون !

وعلى ذلك فإن القتل الدائر فى بيت المقدس ليل نهار بأيدى الإسرائيليين هو ضرورة ملحة تفرضها حاجتهم للدفاع عن أنفسهم !

بينما ما يقوم به المسلمون لا يسمى غير إرهابٍ ومعاداةٍ صريحةٍ للسامية-وكأننا لسنا ساميين- !

هل لاحظت أنه فى الحديث عن الكيان الصهيونى يتحدثون عن دولتهم المزعومة-إسرائيل- بينما عند اتهام الفلسطنيين —الجائر- يكون الكلام عن الإسلام !

وكأن الإسلام يمارس الإرهاب على إسرائيل !

الأمر نفسه تراه من كل الزوايا .. اليهودى والمسيحي إذا التزما بتعاليم دينيهما يكونا متدينين ملتزمين، بينما المسلم الملتزم الملتحى يكون صورة حية للإرهاب الإسلامى !

هذه الازدواجية فى إصدار الأحكام تسيطر على قلم التاريخ منذ بدأ يخط حروفه الأولى .. فتجد المؤرحين يخطون ما يشاءون حسب أهوائهم .. وصدق من قال "أعطنى مؤرخًا فاسدًا أعطك تاريخًا ماجدًا" !

الخلاف

هل يجوز أن يقع خلافٌ بين طائفتين كلاهما مسلم ؟

وهل يبقى أحدٌ على إسلامه رغم خلافه مع مسلمين ؟

وهل يمكن لهذا الخلاف أن يتطور وتتصاعد حدته فيصبح تناحرًا وقتالًا ؟

وإن كان .. فكيف نعرف جانب الحق فى إحدى الطائفتين ؟

وهل يلزم أن يكون الحق والصواب ملازمًا لأحد الطرفين مجانبًا للآخر ؟

أولًا لابد أن نُقِرَّ أن الحق فكرة نسبية يسعى إليها كل طرف حسب معطياته، والتاريخ الإسلامى يشهد وقوع خلافات عدة بين الصحابة والرسول ﷺ وبين الصحابة وبعضهم البعض، بل وحتى بين الأنبياء وبعضهم ..

ومن ذلك حكم داود عليه السلام الذى رده ابنه سليمان عليه السلام، وأشار القرآن لتلك القصة بلفظةٍ بليغة إذ قال: وفهمناها

سليمان .. لم يقل أبدًا إن داود ظلم أو إن سليمان وحده هو من أصاب الصواب وحقق الحق وأدرك العدالة .. ولكن كليهما اجتهد ..

وتفصيل الأمر أن غنمًا لرجلٍ أفسدت حديقة رجلٍ آخر، فحكم داود بالغنم لصاحب الحديقة، ولما علم سليمان بحكم أبيه استأذنه وحكم بالحديقة لصاحب الغنم يصلح ما أفسده غنمه، وبالغنم لصاحب الحديقة ينتفع بأصوافها وأشعارها وألبانها حتى يتم صاحب الغنم مهمته فى إصلاح الحديقة ..

ولم تكن تلك القضية هى الوحيدة التى أعاد سليمان عليه السلام فتح ملفاتها وتغيير حكم أبيه داود عليه السلام .. فقد أتت أختان إلى نبى الله داود تحتكمان فى قضية صعبة .. أكل الذئب رضيع إحديهما فادَّعت كلٌّ منهما الرضيع الحى لنفسها فحكم به داود للكبرى ..

لكن سليمان أعاد المحاكمة وحكم بشق الطفل نصفين وتأخذ كل أختٍ منهما نصفه، فلما رأى هلع الصغرى وتقبُّل

الكبرى للحكم بغير مبالاة حكم به لمن لم يتحمل قلبها ذلك ورضت أن تظفر به أخرى شريطة ألا يصاب بأذى ..

لم يصم أحدٌ داود بالبعد عن الحق والحيد عن العدالة .. لأنه بالفعل حاول الوصول إلى الصواب واجتهد فى ذلك ..

اختلفا لكنهما لم يتباغضا .. لم تقع بينهما كراهية .. لم تتصاعد الخلافات بينهما ..

ولكن .. ماذا إن تصاعدت الخلافات .. وتمسك كلٌ بما يزعم أنه حقٌ واشتعلت نار الفتنة ؟؟

الفتنة

لم يعرف التاريخ الإسلامى –ولن يعرف– فتنة عظيمة كتلك التى نشبت بين على ومعاوية .. وإن شئت الدقة فإن تلك الفتنة بدأت منذ تولى عثمان الخلافة ..

وقد انقسم الناس من حينها إلى مؤيدٍ لهذا ومعارضٍ لذاك، لكن آفتنا جميعًا أننا إن أيَّدنا أحدهما وجب علينا تكفير الآخر، وكأنه لا مجال للتوسط فى دين الوسطية .. ثم من منحنا حق الحكم على هؤلاء بالأساس ..

من يملك حق تكفير ابن عم رسول الله عليّ بن أبي طالب، أو أم المؤمنين عائشة، أو حواريِّ الرسول المبشر بالجنة الزبير بن العوام، أو المبشَّر بالجنة طلحة بن عبيد الله أو معاوية بن أبى سفيان أو عمرو بن العاص ..

كيف نجرؤ على تكفير أحد الطرفين .. ثم ماذا نقول فيمن اعتزل هذا كله ولم يدلِ بدلوه كعبد الله بن عمر ؟!

ودون أن نخوض فى الفتنة مع الذين خاضوا، ننظر فقط كيف نخوض، وماذا نقول، ومن هؤلاء الذين نقول فيهم .. وهل يجوز لنا أصلًا أن نصنفهم بين كافر ومؤمن وبين مخطئ ومصيب ..

مبدئيًا فقد حدد الله لنا الطريق الذى نترسَّمه مع فئتين اختلفتا حول أى أمر: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [1]، وصفهم الله أولًا بالمؤمنين، ثم وصفهم بالإخوة، وأكد عليها بقوله: أخويكم، فالأصل فيهم أنهم إخوة، وإن دب بينهم خلاف أو قامت بينهم فتنة .. ثم ختم الله بأمرٍ واضحٍ صريح: اتقوا الله .. اتقوه

[1] - الحجرات 9-10 .

فى حكمكم عليهم .. اتقوه فى خوضكم فيهم .. اتقوه فى تصنيفكم لهم .. حتى وإن بغوا، فالطائفتان فى النهاية من المؤمنين .. الطائفتان فى النهاية إخوة لبعضهم البعض وإخوة لكم .

يقول ابن تيمية فى الفتاوى الكبرى: "أما إذا كان الباغى مجتهدًا ومتأولًا، ولم يتبين له أنه باغٍ، بل اعتقد أنه على الحق وإن كان مخطئًا فى اعتقاده: لم تكن تسميته "باغيًا" موجبة لإثمه، فضلا عن أن توجب فسقه" .

ثم إن الأمر بقتالهم فى الآية ليس من باب العقوبة لهم بل لدفع الضرر وصرفهم عن بغيهم؛ ودليل ذلك أن القتال يتوقف إن توقفوا عن البغى ..

وخلاصة الأمر أن ما يقع بين المسلمين هو ما يقع بين الإخوة، وقد أورد ابن كثير فى البداية والنهاية: " .. فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب على، تدانى إلى بعض البلاد فى جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم

تنتهِ وترجع إلى بلادك يا لعين لاصطلحن أنا وابن عمى عليك ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت، فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة .

كل هذا لا معنى له سوى أن العلاقة بين الاثنين كانت علاقة أخوة، فهم فى نهاية الأمر أبناء عمومة، لكن آراءهم اختلفت وانقلب الاختلاف خلافًا وكان ما كان ..

كلٌّ منهما اجتهد ورأى أن رأيه هو الأصح وراح يدافع عنه بكل ما يملك .. حتى وإن أخطأ فى تقييمه لرأى الآخر ..

فهرس

من فضلك لا تقرأ هذا الكتاب! 5
الهجرة لم تكن في محرم! 7
خلقه الله واستعظمه! 9
الحوت لا يزال حيًّا! 11
ليلة القدر 13
خيرٌ من ألف شهر! 15
التراويح! 17
الغراب الأبيض! 19
حمامة السلام 21
موسى vs الخضر 23
أول من آمن من الرجال 25
وزيناها للناظرين ! 27
طفلة ! 31
السؤال الأول! 34
إيه جبت! 37
التاتش بتاعنا ! 40
أسطورة المصرى ! 42
الجسم السليم ! 44
دنيا! 46

عيسى العوام 50
نعمة ربنا ! 52
Look إسلامي! 54
رضى الله عنه 56
كورس جاهلي 58
حتى الأنبياء 60
"ليس" اسمه أحمد ! 64
من فضلك ..لاتصعد المنبر! 66
إلى أصحاب القلوب الرحيمة 70
الموهبة 72
التربية ليست كل شيء! 76
النظرية المبقعة ! 78
الإرهاب أمر إلهي ! 80
محمد ﷺ إرهابي! 84
الجهاد ≠ القتل 88
حد السيف 92
هل شققت عن قلبه ؟! 95
نابليون vs هتلر ! 98
الخلاف 102
الفتنة 105

وزيناها للناظرين

ونقول إن زواجه من خديجة ليس بالأمر المستغرب المستهجن لأن المرأة الأربعينية في المجتمع المكي لم تكن عجوزًا حيث كانت بعيدة كل البعد عما يفسد الصحة ويعجل بالشيب، كانت تحيا في بيئة نظيفة وتتناول طعامًا صحيًا مما يحفظ لها شبابها لعمر مديد، ثم إنها كانت من أغنياء مكة؛ مما يعينها على الاعتناء بنفسها وشبابها، وإن كانت المقارنة لا تجوز ولكن انظر إلى الفنانات اللاتي تجاوزن الأربعين لتعلم أن هذه السن هي للشباب أقرب منها للمشيب.

غلاف لخديجة يونس

دار ليلى للنشر والتوزيع